كلثوم السعفي

تصور الصحف الصهيونية التونسية للدولة اليهودية

"الثلاثينات"

... في صحف، الحلّوز، الفجر، اليقظة اليهودية

Bibliotheca Alexandrina
0027586

كلثوم السعفي

تصور الصحف الصهيونية التونسية للدولة اليهودية

"الثلاثينات"

ISBN 9963 - 585 - 06 - X

Kalthoum El ssafi

The View of Tunisian Zionist Newspapers
on the Jewish State in the 1930s

Study in Halloutz - L'Aurore - Le Reveil

دراسة في صحف،

الحلّوز، الفجر، اليقظة اليهودية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
أيار (مايو) ١٩٨٩

الغلاف والتصميم الداخلي محمود لوباني

شرق برس
Sharq Press Ltd

نيقوسيا ـ قبرص ـ ص. ب. (٩٠٣٠) هاتف ٤٥٨٨١٠ فاكسيميلي ٤٦٣٧١٧
NICOSIA - CYPRUS - P. O. BOX (9030) Tel. 458810 FAX 463717 TELEX 2043 SHARQ CY

المقدمة

كانت تونس في الثلاثينات وفي سنة ١٩٣٣ بالتحديد ميدانا واسعا للتسابق الصحافي. وكان للصحف اليهودية، وخصوصاً الصحف الصهيونية مجال فسيح ونشاط كبير، لتنشر أفكارها وتدافع عن حركتها. وتمثل فترة الثلاثينات، بالنسبة للحركة الصهيونية مرحلة تركيز لنظريتها وبناء «الدولة اليهودية»، بعد أن سبقتها فترة العشرينات، وهي مرحلة الدعاية لهذه الحركة. غير أن الدعاية لم تتوقف عند حدود العشرينات، بل تواصلت، نظرا لكونها عاملاً من العوامل الاساسية التي ترتكز عليها الحركة الصهيونية وتستعملها في كل الفترات والأعمال. ومن بين مجموع الصحف الصهيونية التي ظهرت، إخترنا في دراستنا ثلاث صحف صدرت في تونس سنة ١٩٣٣: وهي صحيفة «الحلون» وصحيفة «الفجر» وصحيفة «اليقظة اليهودية»(١)؛ اعتبرناها نموذجاً ممثلا لاتجاهات الحركة الصهيونية في تونس وفي العالم. وتحتوي هذه الدراسة على جانبين: يتمثل الأول منهما في البحث عن تصورات هذه الصحف الثلاث للدولة اليهودية خلال سنة ١٩٣٣ ومدى ترويجها لهذه التصورات وعملها على نشر الفكر الصهيوني في تونس؛ أما الجانب الثاني لهذا الموضوع فيهتم باتجاهات الحركة الصهيونية واستراتيجيتها في هذه الفترة على مستوى عالمي، وعلى مستوى تطبيقها لهذه الاستراتيجية في فلسطين.

ولقد اخترنا هذا الموضوع، نظراً لما للصهيونية من علاقة وطيدة بالوضع العربي الراهن، ولايماننا بضرورة معرفة العدو، في تصوراته ورؤاه الفكرية والسياسية، حتى نواجهه المواجهة الفعالة والناجعة. واخترنا تناول بعض الصحف الصهيونية الصادرة في تونس لمحاولة تغطية هذه الفترة التي شهدتها الساحة الصحافية في تونس، وللتعريف بالصحافة الصهيونية التي كانت تروج أفكارها الصهيونية في بلد عربي وكشف تلك الأفكار واجلاء خفايا الفكر الصهيوني وانتشاره في تونس.

ويكمن هدف هذا الاختيار، الذي هو هدف هذه الدراسة، في محاولة الكشف عن جذور سياسة الكيان الصهيوني الحالية، وتبين كيف قامت الحركة الصهيونية بالاعداد المحكم لتسلطها التاريخي على فلسطين، والبحث في صحة الركائز التي قامت عليها دولة اسرائيل.

وتطرح هذه الدراسة الاشكالية التالية: ما هو تصور هذه الصحف للدولة اليهودية؛ وما هي طبيعة هذه الدولة، وما هو شكل النظام الذي ترتئيه؛ وماذا كانت الوسائل والطرق المعتمدة لانجاز اقامة هذه الدولة اليهودية، ومدى اسهام الأطراف الخارجية فيه؟

وستعمل هذه الدراسة، في المستوى الأول، على البحث عن طبيعة عمل هذه الصحف في تونس ومدى تأثرها بالحركة الصهيونية العالمية ومدى خدمتها لها وترجمتها لأفكارها ومبادئها؛ وعلى مستوى آخر، ستعمل الدراسة على استجلاء اتجاهات الحركة الصهيونية واستراتيجيتها في هذه الفترة، وتبين جذور الدولة الصهيونية في الثلاثينيات.

١ - اعتبارات منهجية:

تحليل المضمون: سنعتمد، في هذه الدراسة، منهج تحليل المضمون، وقد عرفه برلسن وستايزر بأنه طريقة تعتمد حساب الخصائص التي تظهر في مجال الاتصال وتستقطب اهتمام الدارس. وتقوم هذه الطريقة على تجزئة مادة الاتصال الى مجموعة أصناف، يمكن تحديد تكرارها النسبي. ويضيف برلسن

أن تحليل المضمون هو أسلوب يهدف الى الوصف الموضوعي المنظم والكمي لمحتوى الاتصال. لقد حرصنا على أن تكون الأصناف مقترنة بالأمثلة، ذلك أنه مثلما ذكر السيد كريم محمدحمزة في كتابه «مقدمة في تحليل المضمون»: «تكمن المشكلة الرئيسية في كل بحث في اختيار وتعريف الأصناف التي ستوضع بينها وحدات المضمون، وتحليل المضمون ينجح أو يفشل حسب أصنافه»؛ وأضاف: «ان دراسة معينة كانت مثمرة إلى الحد الذي كانت فيه الأصناف قد صيغت بوضوح وكانت مناسبة للمشكلية والمضمون». وحين تكون هذه الأصناف المختارة مقترنة بالأمثلة وتستجيب لتساؤلات (الاشكالية) وطموحات البحث، قمنا، قبل تحديدها، بقراءة اجمالية للمدونة.

أما وحدة التسجيل فهي «المقطع المحدد من المضمون والذي يتخصص من خلال وضعه في صنف معين». فلذلك اخترنا الموضوع «ذلك أن الموضوع يعتبر، لأغراض متعددة، الوحدة الأكثر فائدة في تحليل المضمون. والمضمون هو فكرة مقررة حول مسألة معينة». وفي الظروف التي لم يمكننا فيها اعتماد الموضوع، اعتمدنا الكلمة المفردة أو الرمز كوحدة تسجيل. وباستعمال كل من الموضوع والكلمة المفردة، أردنا الاحاطة الشاملة بالموضوع واستيفاء الأصناف.

ولقد اخترنا سنة ١٩٣٣لاعتبارات ،منها تواجد الصحف الممثلة للتيارات الثلاث التي اخترناها في هذه الدراسة؛ ثم نظراً لأهمية التيار اليساري في الحركة الصهيونية سنة ١٩٣٣، اذ كان له أكبر عدد من الممثلين في المؤتمر الصهيوني المنعقد في تلك السنة، مما أدى إلى هيمنته على الحركة الصهيونية. ولقد أثار ذلك جدالا صحافيا هاما، خاصة بين اليمين واليسار. ولقد اخترنا سنة ١٩٣٣، أيضا، لما شهدته هذه السنة من نشاط هام للحركة الصهيونية التي أخذت تعمل على بعث ركائز دولتها، وعلى تكثيف تحركاتها، خصوصاً بعد تولي هتلر الحكم في ألمانيا في كانون الثاني (يناير) من السنة نفسها.

تتضمن هذه الدراسة ثلاثة أجزاء، يشكل الجزء الأول منها الاطار العام والاطار الزمني للفترة المتناولة بالدراسة. ولمزيد من الاحاطة بهذه الفترة، رأينا

من الأحسن تقديم الاطار الكامل لفترة الثلاثينات على مستوى تونس، حيث صدرت الصحف المعتمدة وحيث تواجد عدد كبير من اليهود. وفي هذا السياق، سنتعرض إلى وضع التونسيين، بصفة عامة، ووضع اليهود، على المستوى الاقتصادي والاجتماعي بصفة خاصة. وسننظر في وضع الحركة الصهيونية، في تونس، واستراتيجيتها على مستوى العالم. وسندرس، كذلك، وضع الصحافة التونسية والصحافة اليهودية والصهيونية في تونس. ومن الضروري، أخيراً، تقديم التيارات التي تمثلها، في تونس، الصحف الثلاث المعتمدة، وذلك على مستويين اثنين: على مستوى محلي، أي في تونس، وعلى مستوى عالمي.

ويحتوي الجزء الثاني من هذه الدراسة على تحليل محتوى افتتاحيات كل من صحيفة «الحلون» وصحيفة «الفجر» وصحيفة «اليقظة اليهودية». وذلك بهدف الكشف عن تصورها لطبيعة الدولة اليهودية على المستوى الايديولوجي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وللكشف، أيضاً، عن استراتيجيتها بصورة واضحة. ويتضمن هذا الجزء، كذلك، عرض تصور القادة والمنظرين الصهاينة للدولة، وهم هرتزل، ممثل الجميع، وجابوتنسكي، ممثل اليمين، وبن غوريون ممثل اليسار، وذلك للبحث عن مدى مطابقة تصور الصحف الثلاث للدولة مع تصور القادة، ومدى ارتباطها بالحركة الصهيونية العالمية. وسنستعرض ما تتضمنه بعض النصوص الدينية والتاريخية من مواقف تجاه اليهود، حتى نتوصل إلى اختبار صحة ما يقدمه المفكرون الصهاينة من ادعاءات. ويهتم هذا الجزء بالبحث في تطبيق هذه التصورات خلال هذه الفترة، كما يعنى بمسألة حدود الدولة الصهيونية، انطلاقا مما تقدمه الصحف الثلاث الصادرة بتونس في ١٩٣٣، وما يطرحه القادة الصهاينة من تصورات، وما تشتمل عليه بعض النصوص التاريخية والدينية من معطيات تخص حدود هذه الدولة. ونسعى من وراء ذلك كله، الى الكشف عن طبيعة الحركة الصهيونية التوسعية.

ويبحث الجزء الثالث من الرسالة في وسائل انجاز هذا التصور، الذي يتجلى في الصحف الثلاث، وبالتالي في وسائل بناء الدولة اليهودية على المستوى

السياسي والاقتصادي. كما يبحث هذا الجزء الأخير في وسائل الانجاز الخارجية والمقصود بها الدعم الخارجي للحركة الصهيونية ولدولتها في هذه الفترة.

٢ـ المدونة:

تتألف المدونة من افتتاحيات ثلاث صحف صهيونية تمثل ثلاث تيارات في الحركة الصهيونية.

أـ صحيفة «الحلون»: وهي تسمية عبرية معناها «الرائد»، تنطق باسم تـ ـع الهاشومير هاتسعير في تونس، الذي ينتمي إلى اليسار الصهيوني. ويضم اليسار الصهيوني في تونس، الى جانب تجمع الهاشومير هاتسعير، التيار الاشتراكي الديمقراطي، ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على الهاشمير هاتسعير كممثل لليسار الصهيوني، باعتبار أهميته على الساحة الصهيونية في تونس، وباتساع جمهوره، بالمقارنة مع تيار الاشتراكيين الديمقراطيين، كما اعتمدنا، أساسا، افتتاحيات كل الأعداد التي صدرت طيلة سنة ١٩٣٣، الا في بعض الحالات، التي اعتمدنا فيها المقال الاعلامي، نظراً لأن «الحلون» كثيراً ما كانت تخصص افتتاحيتها لطرح مشاكل الصحيفة، وباعتبار أنها صحيفة نصف شهرية غير منتظمة الصدور، فقد صدرت لمدة أربعة أشهر ثم توقفت نهائيا.

ب ـ صحيفة «الفجر»: ولتمثيل التيار الصهيوني العام إخترنا صحيفة «الفجر» التي تنطق باسم هذا التيار الذي يمثل الوسط في الحركة الصهيونية في تونس. وهي صحيفة أسبوعية، اعتمدنا فيها الافتتاحيات فقط، ذلك أنها كانت منظمة ومتوفرة دائما وقد صدر منها ١٦ عدداً. صدرت هذه الصحيفة، لأول مرة، في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣، وتابعت الصدور حتى سنة ١٩٣٤. لكننا توقفنا في هذه الدراسة عند آخر عدد لها في سنة ١٩٣٣.

ج ـ صحيفة اليقظة اليهودية: وكانت أهم صحيفة صهيونية في تونس، تمثل حزب التصحيحيين، وهو الذي يمثل اليمين في الحركة الصهيونية، ولقد اعتمدنا الافتتاحيات فقط، وعددها ٣٢، لسنة ١٩٣٣، وفي بعض الحالات لم تكن هنالك افتتاحية.

ولقد اخترنا في هذه الدراسة الاعتماد على الافتتاحيات، أساسا، نظرا لما تتضمنه الافتتاحية عادة من تعبير عن موقف الصحيفة، فهي تعتبر بمثابة المرآة التي تعكس سياسة الصحيفة.

٣ـ الحلوز تعرف نفسها:

كتبت الحلوز في عددها الأول، الصادر يوم ١٥ شباط (فبراير) ١٩٣٣، تقول: «ان بعث هذه الجريدة قد أملاه ظهور تيار جديد في الحركة اليهودية التونسية. وتستجيب هذه الصحيفة لحاجات جديدة لا تستطيع تلبيتها أي من الصحف الموجودة. وهي تنبع من التأليف بين القومية والاشتراكية، لأنه إذا ما أراد اليهود إنسانية أفضل، فليس من الحتمي انكار اليهودية التي ورثوها والتي طبعت تربيتهم، كذلك إذا ما أرادوا أن يكونوا يهودا واعين بيهوديتهم، بصفة ايجابية، لا يتحتم عليهم إنكار كل تقدم اجتماعي. والجريدة هي لسان كل هؤلاء الذين يريدون أن يكونوا رجالاً يهوداً، وهي كذلك لسان هذا التيار الجديد الذي أفرزه الوضع الجديد».

وأعطت هذه الصحيفة لنفسها مهمة تعميق الصهيونية، فمهمتها ليست دعائية، باعتبار أن أغلبية اليهود التونسيين هم صهاينة، فالمرحلة، اذن مرحلة بناء. وتعلن هذه الصحيفة أنها تعمل من أجل فلسطين عمالية، من أجل فلسطين لا توجد فيها فوارق، يعيش فيها اليهود في أخوّة عارمة، تجعلهم يحبون الانسانية جمعاء. وتنبىء «الحلوز» القارىء أنها ستعرفه، عبر مقالاتها، بسر جمالها وعظمتها، وستطلعه على الثقافة التي تلهمها والرجال الذين ساهموا في توسيع هذه الثقافة؛ كما ستتضمن تحليل الوضع الاقتصادي الذي تعيش فيه، ونمط العيش الذي تختاره لحياتها في فلسطين وإنجازاتها. وختمت تقول، على لسان هيئة تحريرها: «إخترنا لأنفسنا مهمة كبيرة وصعبة ونعول عليكم أيها القراء الأعزاء لإنجاحها»(٢).

لقد أعلنت الحلوز في عددها الصادر يوم ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٣٣، أن هيئة تحريرها قررت، نظرا لحسن القبول الذي حظيت به والنجاح المتزايد

لأفكارها ورواجها ولارتفاع عدد المشتركين، ابتداء من هذا التاريخ، الصدور كل يوم جمعة. وبذلك انتقلت الحلوز من جريدة نصف شهرية إلى جريدة أسبوعية، كما أن الصحيفة ستحتفظ بالحجم الكبير، وحاولت الصدور في ست صفحات، واحتفظت بالسعر نفسه، ٣٠ سنتيما، على أنها رفعت سعر الاشتراكات من ٧ الى ١٥ فرنكا. لقد كانت الحلوز تطلب دائما المعونة من القراء وذلك عن طريق الاشتراكات.

وفي العدد الأخير لها، كتبت الحلوز تقول: «ان صعوبات مالية، ولكنها ظرفية، أجبرتنا على الصدور في صفحتين هذا الأسبوع [١٢ أيار (مايو) ١٩٣٣] نعتذر عن ذلك ونؤكد لكم وعدنا بتعويض هذا العجز في الأعداد القادمة». لكن هذه الأعداد لم تصدر البتة، اذ توقفت الحلوز عن الصدور والسبب الظاهر هو العامل المالي.

ومن أهم النشاطات التي انفردت بهاالحلوز عن نظيراتها ، التجمع العام الذي نظمته لمعارضة الممارسات التي يتعرض لها اليهود في ألمانيا، والتنديد بعملية «تهميش شعب بأكمله». وقد دعت لهذا التجمع عددا كبيرا من المشاركين فضم، تقريبا، كل المنظمات الموجودة، آنذاك، وكذلك جل اليهود.

٤. الفجر تعرف نفسها وتبين اتجاهها

بقرار اصدار هذه الجريدة يعتقد مؤسس «الفجر» أن «الاستجابة لرغبة يهود الأيالة [تونس]، البالغ عددهم ٧٥٠٠٠ نسمة، ينتمون إلى كل الطبقات الاجتماعية ويساهمون في الحياة الاقتصادية». ان الحركة اليهودية التونسية لها حاجات تلبيها ورغبات تعلنها كما أنها تدرك أنه، لكي يكون اليهودي على قدم المساواة مع المواطن الحر، يجب عليه أن يقوم بعمل صلب ومتريث يجد له سندا لدى السلطات الحكومية حتى تتسم مطالبه بالشرعية التي تندرج ضمن الحقوق الضرورية التي تمنحها الحرية الانسانية لكل مواطن في أي بلد ومن حقه أن يجازى على مشاركته في اقتصاد الايالة بكل عدالة.

وتعلن هذه الجريدة أن الحركة اليهودية التونسية، في حياتها الداخلية،

بحاجة إلى تنظيم أكثر حزماً، وعليها أن تنظر إلى المستقبل بقوة، وتتقدم، بشجاعة دون تردد في القيام بالعمل الذي سيمكن اليهود من العيش عيشاً أفضل، من الناحيتين، المادية والروحية، هدفها في ذلك تحسين ظروف عيشهم اليومي وكذلك تطوير أفكارهم.

وترشح «الفجر» نفسها لتكون الدليل والنبراس، لتحقيق هذه المهمة الصعبة، بالاتصال المباشر مع القاعدة والقيادة، مقترحة الاصلاحات، متتبعة الانجاز، أحيانا، اذا ما مكنتها ظروفها من ذلك. على أن هذا الدليل، هو نفسه، في حاجة إلى مبدأ موجه يتبع على ضوئه طريقه بدون تخطي. «**وستتصرف هذه الجريدة تحت شعار الأيديولوجيا الصهيونية بالفكر والقلب**». وتؤكد هذه الصحيفة أن الصهيونية لا تعني، فقط، الهجرة ولا تكتسي، فقط، فكرة التواجد المادي في أرض الأجداد، بل ان للصهيونية **معنى روحيا أكثر إجلالا وإشعاعا، اذا طمح إلى بعث وطن فإنه يطمح، في الوقت نفسه، إلى غزو العقول والقلوب**، القلوب والعقول اليهودية، أولا، لحملها على الايمان بيهودية بعثت مادياً وفكرياً على مذهب هرتزل ونوردو.

وبهذا الاعتقاد نفسه الذي تؤمن به «الفجر»، تستهل هذه الصحيفة التعليمات التي تودعها حركتها وهي ليست إلا جزءا من مهمتها، مؤمنة، كل الايمان،بالحركة «الهرتزلية» .كماأعلنت«الفجر» أنها ستخصص الجانب الأكبر من برنامجها لترويج الفكرة العزيزة عليها، وهي إيمانها **بإعادة بناء فلسطين**، وهو ما سترسخه لدى القراء. ولادراكها أهمية المشكل، لن تحيد «الفجر» عن تعليمات هرتزل ونوردو. وهي تريد أن لا يكون ذلك «حلما»، ولذلك ستبتعد عن الأطروحات المتطرفة التي تحمل مفاهيمها المبالغ بها، وفي طياتها عوامل فشلها. كما أوردت أنه: «بالمعلومات الواسعة، وبعرض المذاهب المختلفة ستنمي هذه الصحيفة، لدى المتعاطفين، الشعور بضرورة أن **توجه الحركة اليهودية النظر والتفكير نحو تجديد «أرض - اسرائيل» ونحو هذا الفجر**[٣] «**الذي سيشع تحت شعار عمل الساعد وعمل الفكر، والعمل سيتبع، بسرعة، النظر والتفكير**»[٤].

الفصل الأول

الوضع التاريخي العام

الوضع التاريخي العام في تونس خلال الثلاثينات:

أخـذت فرنســا، منذ ١٩٣٠، تدعم وجودها في تونس. فعمدت السلطة الاستعمــاريــة الى تكثيف الاستغلال المحكم للأراضي، بتطوير أساليب العمل الفلاحي وادخال الآلات الميكانيكية، بفضل اعانة المؤسسات البنكية. فارتفع انتــاج المعمــرين، وتضاعفت مداخيلهم، مما شجعهم على شراء الأراضي التي ارتفعت أثمانها بصفة ملحوظة. ومما ساعد على ارتفاع هذه الأثمان قلة الأراضي الخصبــة، من ناحية، وقدوم عدد كبير من المعمرين الى تونس على اثر الحرب العالمية الأولى، من ناحية أخرى، كنتيجة لظهور السياسة التوطينية من جديد، وحتى تحقق فرنسا تفوق جاليتها على الجاليات الأوروبية الأخرى، خصوصاً الايطالية منها.

١ ـ الحالة الاجتماعية:

أدت سياسة تدعيم الوجود الاستعماري الى تدهور حالة المجتمع التونسي بما في ذلك الارستقراطية والفقيرة منه. فالأولى اندمجت في المجتمع الاوروبي الجديد وتأثرت بنمط العيش الغربي. أما الطبقات الشعبية فإنها سجلت، ابتداء

من ١٩٣٠ نمواً ديمغرافياً، الى جانب تفاقم البطالة في الأرياف، نتيجة استعمال المعمرين أحدث الآلات الزراعية واستغلالهم المباشر للارض. وفي المدن، تدهورت أوضاع الصناعات المحلية أمام مزاحمة المصنوعات الاوروبية، ونتج عن ذلك تأزم الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، بالاضافة إلى تأزم الاوضاع السياسية، منذ ١٩٢٦ تاريخ اصدار الاحكام الاستثنائية التي شلت الحركة السياسية الوطنية بمنعها كامل الحريات.

٢ـ الحالة الاقتصادية:

شهدت أوائل الثلاثينات معطيات اقتصادية واجتماعية وسياسية جديدة، فعلى المستوى الاقتصادي، ظهرت انعكاسات الأزمة الاقتصادية العالمية، بعد أن وصلت إلى فرنسا سنة ١٩٣٢، فانخفضت أسعار المواد الفلاحية انخفاضا ملحوظا، خصوصاً بالنسبة للمواد الفلاحية التصديرية، كالحبوب والزيوت والصوف. وأثّر ذلك، خصوصاً، على كبار الفلاحين التونسيين والمعمرين، فأصبحوا غير قادرين على تسديد ديونهم للبنوك والمؤسسات الصناعية التي وفرت لهم الالات الفلاحية وقطع الغيار في سنوات الرخاء. وتضرر، أيضا، من الأزمة العالمية أصحاب الصنائع في المدن، وأصحاب صناعات النسيج بقرى الساحل، ومنها خصوصاً قصر هلال، نتيجة مزاحمة المواد الصناعية الأوروبية والانخفاض في الاستهلاك الداخلي.

أما كبار الفلاحين التونسيين فانهم لم يتمتعوا بالمساعدات التي حظي بها المعمرون، فأفلس الكثير منهم، لارتباط انتاجهم بالأسواق الأوروبية. وبالنسبة لصغار الفلاحين التونسيين، فإن تأثير الأزمة العالمية عليهم لم يكن ذا أهمية، بل ان الذي أضر بهم هو توالي الكوارث الطبيعية، من ١٩٣١ الى ١٩٣٤، من جفاف وزحف جراد وفيضانات، فانهار الانتاج الفلاحي، خصوصاً في ١٩٣٢ و ١٩٣٣، وتلفت الماشية ولم يجد الفلاحون الصغار أي اعانة من الدولة، فتراكمت الديون عليهم وبيعت أملاكهم المرهونة في المحاكم العقارية من طرف المقرضين الذين كان أغلبهم من اليهود. فبلغ عدد الممتلكات المعروضة للبيع في المحاكم ثلاثة آلاف عقار في تشرين أول (أكتوبر) ١٩٣٤(٦).

الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهود في تونس مطلع الثلاثينات

لقد كان للأزمة الاقتصادية العالمية، سنة ١٩٢٩، كبير الأثر على اليهود في تونس، فأفلس الكثير منهم، وتخلى بعضهم، نهائيا، عن ممارسة الربا والتجارة، وقصروا اهتمامهم على الصناعة فقط.

وعن وضع العمال اليهود في تونس، كتبت «الحلون»، في عددها الصادر يوم ١٥ آذار (مارس) ١٩٣٣، تقول إن حالتهم متدهورة جدا، وتعطي مثلا لعمال هم أرباب عائلات كثيرة العدد، ويتلقون أجرا يوميا قدره ستة فرنكات، مع أنهم لا يضمنون عملا مستقراً، وقد قاموا باضراب للحصول على ١٠ فرنكات. وفي مصنع للأحذية، تم طرد كل العمال وتأجير آخرين جدد يتقاضون نصف الأجر القديم. ووضعية مثل هذه تدفع بالعامل المحتاج الى السرقة وبالعاملة الى البغاء. وترى «الحلون» أن فقر الطبقة الشغيلة جعلها في وضع رديء، وهي تسكن الحارات التي تنعدم فيها أدنى الضروريات الصحية. فالسبب هو الأجور الضئيلة والبطالة، فلا يستطيع الحرفي اليهودي أن يربح ما يكفيه للعيش البسيط. واقترحت «الحلون» للنهوض بالعمال وتحسين وضع الحرفيين؛ واليهود، بصفة عامة، أن تحمي النقابات الطبقة الشغيلة، لما هي عليه من تدهور، وذلك

بالمطالبة بوضع قوانين تحمي الأجور من النزول إلى قدر أدنى، وكذلك بايجاد منحة للبطالة في تونس، كي لا يعتبر العاطل عن العمل منافسا للعامل، الأمر الذي يساهم في انخفاض الأجور. تنادي الحلوز بكل هذه الاجراءات لتطهير الحارة.

أما جريدة «الفجر»، فقد تحدثت، باطناب، عن الوضع المتدهور للتجارة والتجار اليهود العاجزين عن بيع سلعهم أو عن تسديد ديونهم. وعلق التجار اليهود آمالهم، للخروج من أزمتهم، على المصرف اليهودي الذي تم تأسيسه في غضون سنة ١٩٣٣. ويخضع نظام ادارة هذا البنك الى قانون ١٩١٧، حيث أن الدولة ستقوم بمساعدة هذا البنك والمساهمة في رأس ماله، بقدر يصل أقصاه الى أربعة أخماس، لكن لا يتم ذلك إلا اذا توصلت الى تجميع قدر معين من رؤوس الأموال الخاصة. وستواصل الحكومة مد المصرف بالمال حسب أهمية رأس المال الخاص الذي يصله، وسيفتح هذا البنك أبواب الاقتراض فور تجميعه لرأس مال معين، وبهذه الطريقة، يستطيع صغار وكبار التجار والحرفيين أن يجدوا لديهم سندا اذا ما ساهموا في تمويل البنك.

علاقة اليهود بالمجتمع التونسي وسلطات الحماية

كان اليهود في تونس يقدمون أنفسهم كمجموعة (communaute) يهودية لها مؤسساتها الخاصة، فلهم في الميدان السياسي المجلس القومي للطائفة اليهودية، وفي الميدان الاقتصادي، أو التجاري، الذي كان يمثل نشاطهم الاقتصادي الرئيسي، لهم مؤسستهم التي تنظم نشاطهم، وهي المصرف التونسي للتجارة والحرف. كانت لهم، أيضاً، كنائسهم الخاصة، ومناسباتهم وأعيادهم الخاصة التي يحيونها حرصا منها على الحفاظ على الأصالة اليهودية، حتى لا ينصهروا في المجتمع التونسي ويُصبّغوا بالحضارة العربية الاسلامية. فرغم تواجدهم، منذ عهد طويل في تونس، لم تكن ممارساتهم تونسية. فهم لا يشتركون في الأعياد التونسية، بل كانت لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة، كانوا يعيشون في حي خاص بهم، يتجمع كلهم في الحارة حيث يتبعون نمط العيش اليهودي.

الحـركة الوطنية: ان المسألة الوطنية بالنسبة لليهود في تونس كانت المسألة اليهودية، ومن ذلك عدم اكتراثهم بالحركة الوطنية، اما الوطن الذي يعملون من أجل الحصول عليه فهو الوطن الفلسطيني. وهم يعتبرون أنفسهم في تونس في فتـرة انتقـاليـة وقتية في انتظار الالتحاق بفلسطين التي كانت شغل حركتهم الشاغل. فبينما كانت الحركة الوطنية موضوع عدد من الصحف في تلك الفترة، لم يرد ذكرها في الصحف اليهودية والصهيونية البتة.

سلطات الحماية: لم تكن هنالك علاقة عدائية، بالمعنى الصحيح للكلمة، بين اليهود في تونس وسلطات الحماية الفرنسية. لقد كان اليهود يطالبون باصلاحات خاصة بهم، ويتهجمون، أحيانا، على سياستها تجاههم خاصة، وأنها كانت تعمل على صهرهم في الحضارة الفرنسية بممارسة سياسة التجنيس التي تعرض لها المسلمون كذلك.

الاستراتيجيا الصهيونية في الثلاثينات:

بلغ كفاح الصهاينة من أجل فلسطين ذروته في الثلاثينات بعد أن كانت فتـرة العشرينـات مرحلة تهيؤ واعـداد لبنـاء جهـاز دولتهم. وبلغت المنظمة الصهيونية من القوة ما مكنها من الحصول على ما تصبو إليه. ولقد أدى نجاح الصهيونية، في هذه الفترة، الى ازدياد الهجرة الى فلسطين. وفي الاحصائيات التي أصدرتها بريطانيا سنة ١٩٢٢ و ١٩٣١، نلاحظ الأهمية المتزايدة للهجرة. فلقد تضـاعف عدد اليهود في عشر سنوات، فأصبحوا ٨٣,٧٩٠ يهودياً من مجمـوع ٧٥٢,٠٠٠ من السكـان، وذلك سنـة ١٩٢٢(٧). ثم أصبـح عدد المهاجرين، سنة ١٩٣٢، ٢٥٠٠٠ مهاجر، ثم ارتفع الى ٣٠٠٠٠ مهاجر، سنة ١٩٣٣. وعلى اثر هذا الارتفاع المتزايد للهجرة، وأمام هذا السيل الجارف من اليهود المهاجرين الوافدين على فلسطين، تقدمت الأحزاب العربية الخمس في فلسطين في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٠ بالمطالب التالية الى الادارة:

- ايجاد برلمان ديمقراطي.
- تحريم بيع الأرض.

- وقف الهجرة.

وحاول المندوب السامي البريطاني انشاء مجلس تشريعي، غير أن المؤتمر الصهيوني رفضه. وقد شهدت بداية الثلاثينات اصطدامات بين العرب واليهود، لاعتراض العرب على تزايد المهاجرين وحصولهم على مساحات كبيرة من البلاد. وقد استولت المنظمات الصهيونية، خلال سنوات ١٩٣٤- ١٩٣٥، على ١٣٨٠٠ هكتارا.

ا- المؤتمر الصهيوني الثاني عشر (١٩٣٣):

التأم المؤتمر الصهيوني الثاني عشر، في براغ في الأسبوع الأخير من شهر آب (اغسطس) ١٩٣٣؛ وتواصل حتى آخر الأسبوع الأول من شهر ايلول (سبتمبر)، وحضره حوالي ٦١٣ ممثلاً عن جاليات كل بلدان العالم، منهم ١٣٣ من العماليين و ٧١ من الصهاينة العامين و ٥٠ من التصحيحيين و ٣٠ من المزراحيين و ٣٠ ممثلاً عن الفروع الأخرى التي تقل أهمية(٧).

وكان من بين المشاكل الهامة المطروحة، في جدول الأعمال، مواجهة سياسة هتلر، وقد شهد طرح هذه المشكلة توترا حادا نظرا لوجود الاتجاهات المتضاربة. وصادق المؤتمر على جملة من القرارات منها: أن تصبح المدة الفاصلة بين المؤتمرات ثلاث سنوات، وكذلك تعديل نظام الوكالة اليهودية، ومراجعة السياسة التجارية والجمركية الصهيونية.

وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية، طالب المؤتمر الصهيوني السلطات البريطانية بحرية هجرة اليهود الى فلسطين، وعارض طرد اليهود الذين دخلوا فلسطين دون الخضوع الى التعليمات التي فرضتها الادارة البريطانية على الهجرة اليهودية الى فلسطين. كما أعلن المؤتمر أن القانون الحالي المتعلق بالهجرة الى فلسطين مخالف لصك الانتداب (البند ٦) القاضي بتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين، وأعرب عن معارضته لسياسة الحد من الهجرة «في الوقت الذي تعاني فيه فلسطين من نقص اليد العاملة»(٨)، وبالتالي، طالب المؤتمر بالتخلي عن الاستثناءات المفروضة على الهجرة اليهودية.

٢ـ في تونس:

كان من تأثير الدعاية الصهيونية على اليهود في تونس أن تكاثر عدد المتعاطفين مع الحركة الصهيونية. ومما ساهم في انجاح هذه الدعاية اعتمادها على نقاط حساسة في حياة اليهود، كالاضطهاد الذي يتعرضون اليه، وما يعانونه من «اللاسامية» في المجتمع التونسي،وكذلك وعدهم بأرض الميعاد، فلسطين، أرض اللبن والزبدة والعسل. غير أن الظاهرة اللافتة للنظر، كما يقول السيد الهادي التيمومي، «هي أن الحركة الصهيونية أصبحت تعيش في مطلع الثلاثينات تناقضا واضحا بين تقلص عدد الملتزمين بها، نظريا وعمليا، وتزايد عدد المتعاطفين معها، من جهة ثانية»(٩).

ولقد اتسمت سنة ١٩٣٣ بالهجمات الصحافية التي شنتها الحركة الصهيونية على السياسة الهتلرية، وعلى هتلر نفسه، وذلك للنزاع الأيديولوجي بينهم، ذلك أن هتلر يعتمد على العمل لتحقيق النمو ويستغني عن المال الذي يمثل الركيزة الأساسية للأيديولوجيا والسياسة الصهيونية، وكذلك للحملة اللاسامية التي قام بها هتلر ضد اليهود والاضطهاد الذي مارسه ضدهم. وقد أثرت هذه الحملة على قسط كبير من الرأي العام العالمي.

وبلغ عدد التيارات المتواجدة داخل الحركة الصهيونية، في تونس، خلال هذه الفترة، ستة تيارات، هي:

١ـ التيار التصحيحي.

٢ـ التيار المزراحي.

٣ـ التيار الاشتراكي الديمقراطي.

٤ـ تيار هاشومير هاتسعير.

٥ـ التيار الصهيوني العام.

٦ـ التيار الخيري.

الفصل الثاني

وضع الصحافة والتيارات الصهيونية

الصحافة التونسية في الثلاثينات:

يمكن تحديد هذه الحقبة من تاريخ الصحافة في تونس من خلال تواريخ ثلاثة، أولها تاريخ ١٩٢٦، والتاريخ الثاني هو حوادث ابريل (نيسان) ١٩٣٨ التي أدت الى منع أكثر الجرائد العربية من الصدور، والتاريخ الثالث هو أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩، تاريخ اندلاع الحرب العالمية الثانية.

قبيل الثلاثينات، أخذت الحكومة الفرنسية تضيق الخناق على طالبي رخصة اصدار الصحف. وقد كان على الذي يريد أن يصدر جريدة أن يعلم السلطة ذات الاختصاص، بكتاب مضمون الوصول، يبين فيه حالته المدنية واسم الجريدة التي يريد اصدارها ومنهاجها وتاريخ صدورها وعنوان المطبعة التي ستطبعها. والايصال الذي يتسلمه بيده من ادارة البريد، عن الكتاب المضمون الوصول، يعتبر رخصة اصدار الجريدة، اذا لم تعلمه الحكومة بعدم اصدارها في مدة أسبوع من حصولها على الكتاب. ثم زادت الحكومة التضييق فأصبح من الواجب على الذي يريد اصدار جريدة أن يقدم الإعلام المذكور، ثم يترقب الاجابة عنه من الكتابة العامة التي يرأسها مسؤول فرنسي، وهي تجري أبحاثاً مختلفة بواسطة المحافظة وادارة الأمن مع طالب الرخصة حول سيرته وفكرته الحزبية وماضيه وحاضره. وجواباً على الاحتجاج الذي قامت به الصحافة، في ذلك الوقت، ردت الحكومة بأن المقصود بهذه الاجراءات هو الجرائد الشيوعية. والواقع أن هذه التضييقات طبقت على كل الجرائد.

وعلى اثر محاكمة «العصر الجديد»، لصاحبها أحمد حسين المهيري، بصفاقس، على ما جاء في افتتاحيتها من مهاجمة لسلطة الاحتلال، سعت الحكومة الفرنسية، ونجحت في سعيها، إلى تحويل القضايا الصحافية والسياسية، بصفة عامة، الى المحاكم الفرنسية، لأن المحاكم الوطنية، على زعمها، تتساهل مع الوطنيين اذا ما مثلوا أمامها من أجل تهم سياسية. فأصدرت الحكومة الأوامر التي نزعت بها جزءا غير يسير من نفوذ العدلية التونسية ومنحته للمحكمة الفرنسية بتونس. ومن يومها، أمست القضايا السياسية والصحافية المتعلقة بالتونسيين من صلاحيات المحكمة الفرنسية. ويقتضي الأمر الآخر ايقاف كل جريدة قبل محاكمتها. ثم مضت الحكومة تضايق الصحافة العربية حتى قضت على أكثرها، الواحدة تلو الأخرى، إما باغراء بعض أصحاب الصحف بالمنح والوظائف، أو بتعطيل الصحيفة بقرار وزاري. فبعد تعطيل «الصواب» و «الاتحاد» و «الجامعة» و «جحا»، جاء دور «الأمة» و «الممثل» و «افريقيا» و «مرشد الأمة». وفي سنة ١٩٣٠، تم تعطيل جريدتي الوزير والنهضة، على اثر تعطيل جريدة «صوت التونسي» الفرنسية اللسان، الوطنية المبدأ. وجرت مظاهرات واحتجاجات ومحاكمات، أدت إلى رجوع الجريدتين للظهور. كما برزت جريدة «صوت التونسي» من جديد. ودامت هذه المقاومة من الحكومة وهذا الكفاح والصمود ازاءها، من عام ١٩٢٠ الى ١٩٣٣، عندما رخصت الحكومة للحزب الحر الدستوري باصدار صحيفة تكون لسانه، فأصدر جريدة «الارادة» التي هي أول جريدة كتبت على صدرها: «لسان الأحرار الدستوريين». وعندما انشق الشبان، الذين شاركوا في اللجنة التنفيذية سنة ١٩٣٣، عن الحزب وأسسوا حزبا بنفس الاسم، أصدروا جريدة «العمل»، سنة ١٩٣٤، وكتبوا على صدرها «لسان الحزب الحر الدستوري». ولم تطل مدة صدور الجريدتين اذ عطلتهما الحكومة، الواحدة تلو الأخرى. ثم، بعد نقل المقيم العام، **بيروطن**، ومجيء خلفه، **أرمان فيون**، رجعت «الارادة» للظهور بعدما عاد المبعدون من الحزبيين الذين أبعدهم بيروطن، وظهرت بعض الجرائد والمجلات، ومنها جريدة «الشباب» التي أصدرها الأستاذ محمد بيرم التونسي، والتي فتحت

طرقا جديدة في النقد الهزلي والأدب الفكاهي، لم تكن من قبل في الصحافة التونسية. وأصدرها بعض الشبان، بعد الأستاذ بيرم، من الذين خالطوه وكانوا قد التفوا حول جرائده وحاولوا تقليده. وازدهرت الصحافة الهزلية في هذه الفترة خاصة من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٨.

وصدر، في هذا الوقت، من المجلات الراقية: «المجلة الزيتونية»، على أنه وقع تعطيلها. كما ظهرت أول جريدة باسم «المنقذ التونسي». وصارت الصحافة في جو يكتنفه شيء من حرية النشر والقول. على أن الأوامر التي صدرت في التضييق على الصحافة، من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٣٦، لم تلغ وانما وقع شيء من غض النظر، حتى جاءت حوادث نيسان (ابريل) ١٩٣٨، فنشأت حالة الحصار ومراقبة الصحف. ثم أعلنت الحرب العالمية، في ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩، فوقع تقنين الورق واشتدت الرقابة، فتعطلت بعض الصحف من أجل ذلك، وان لم تعطلها الحكومة، حتى لم يعد يصدر منها سوى «الزهرة» و «النهضة» اليوميتين. ومن ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩، أي من بداية الحرب العالمية الثانية، أخذت الصحافة التونسية تقاسي أشد أنواع الضغط، خصوصاً مضايقة الرقابة لكتاباتها.

كانت الصحافة، بصفة عامة، في هذه الفترة، معتدلة، تخشى قانون الصحافة الزجري. ولقد ظهرت بعض المجلات الأدبية. وكانت أهم مجلة في الثلاثينات هي «العالم الأرض» لزين العابدين السنوسي، وقد ساعدت في اثراء الحركة الأدبية التونسية بين الحربين، لتشجيعها الأدب التونسي ونشر ترجمة الروائع الأجنبية.

ا ـ تصنيف الصحافة حسب التيارات التي ظهرت في تونس في الثلاثينات:

الصحافة العربية تنقسم إلى أربعة أصناف:

ـ صحافة مساندة للحزب الدستوري القديم، وهي «الصواب» و «مرشد الأمة» و «الارادة» (١٩٣٤).

ـ صحافة الحزب الجديد، بالنسبة للحزب الجديد الذي بدأ سنة (١٩٣٤)، هناك جريدة العمل التونسية (L'Action Tunisienne) وظهرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٢، ثم «العمل التونسي»، في (١٩٣٤)، وكذلك الجرائد التي ساندت الحزب الجديد بعدما كانت مع الحزب القديم، وكذلك جريدة «تونس المصورة» لسعيد أبي بكر الذي ناصر الحزب الجديد مع بيرم التونسي.

ـ التيار التونسي الثالث: «الحركة العمالية» التي تزعمها محمد علي والطاهر الحداد وهما في الجنوب، وسبب نشأة هذه الحركة، من الجنوب، كان اقتصاديا، حيث وجدت عدة مناجم وعمال يستغلها الاستعمار الفرنسي. ولقد حاولت السلطة الفرنسية القضاء على هذه الحركة العمالية في المهد، فنفت محمد علي عن البلاد، وكذلك فعلت بالطاهر الحداد، مع العلم بأن أعضاء الحزب القديم قد عادوا هذه الحركة العمالية واعتبروها منافسة لهم. لكن وجدت إلى جانب ذلك جرائد موالية للحركة العمالية وهي جريدة «المهضوم» و «المظلوم».

الصحافة الأجنبية:

ـ الصحافة الفرنسية:

* حزب المعمرين: له جريدة «تونس الفرنسية « Le Tunisie Fran caise» وجرائد موالية للمقيم العام الفرنسي وجريدة (Dépêche Tunisienne) .

* التيار اليساري:

ـ الحزب الاشتراكي (S.F.I.O) أسسه Jean JAURIS له جريدة (Tunis Socialiste) .

ـ الصحافة المستقلة: (Le Petit Matin) .

ـ الصحافة الايطالية: (L'Italiano, L'Unione) .

٢ـ الصحافة في تونس حسب فترات الحكم:

الصحافة في عهد بيروطن:

امتدت الاجراءات التي اتخذتها الحكومة ضد الصحافة الفرنسية الى الصحف الفرنسية اليسارية مثل (Tunis Socialiste) حتى صار لا يسمح للصحافة التونسية بالصدور الا اذا كانت تخدم مصالح الحكومة. ولقد بلغت ذروتها في الحكم المسلط على الصحافيين.

الصحافة خلال حكم الجبهة الشعبية:

تنفس التونسيون الصعداء بصعود الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا، فقد عادت حرية الصحافة، وشهدت الصحافة تفتحا دام عامين، فتم بعث ١٢ صحيفة أسبوعية، سنة ١٩٣٦، وظهرت ٤١ نشرية عربية، سنة ١٩٣٧، من ضمنها لسان الحزب الاشتراكي التونسي «الطليعة». وهي أكبر نسبة صدور وأبرز فترة في تاريخ الصحافة لتلك الفترة.

وفي الوقت نفسه، واصلت سائر الصحف التونسية مطالبتها بالاصلاحات، وأخذ الموقف الفرنسي يتصلب، فتوقفت العمل عن الصدور في ١٩٣٨، ونددت (La Dépêches) بسوء نية ثالبي فرنسا، بينما كانت (Tunis Socialiste) تعيب على الحزب الجديد اثارته قضية الحماية والسيادة المشتركة من جديد،ونددت(La Presse Tunis) من جهتها برفض فرنسا البات المجادلة في امتيازاتها، ولقد اختار الحزب الجديد العنف وحرض بورقيبة في افتتاحية نشرتها (L'Action Tunis) ، في ١١ كانون الأول(ديسمبر) ١٩٣٧ الشعب على النزول إلى الشوارع.

بعد أحداث ٩ نيسان (ابريل) ١٩٣٨ والقوانين الاستثنائية التي تلتها، وقع حبس ونفي الصحفيين الجريئين وفرض رقابة ضيقة على الصحف. وقد دامت هذه الرقابة طيلة الحرب العالمية، وتواصلت حالة الحصار حتى ١٩٤٧.

الصحافة اليهودية

لم نجد، فيما يتعلق، بحركة الصحافة اليهودية والصهيونية، الوثائق الكافية ولا المعلومات المضبوطة عن هذه الحركة، ويشكل كتاب السيد الهادي التيمومي «النشاط الصهيوني بتونس» مصدرنا الوحيد.

كانت هناك في تونس صحافة يهودية ناطقة بالعبرية والعربية وهي التي وجدت رواجا هاما، نظرا لتوجهها الى الجماهير العريضة من اليهود. وكانت هناك أيضاً صحافة ناطقة بالفرنسية، على أن جمهورها كان محدودا، اذ يقتصر على المثقفين. وفي الوسط بين هذين النوعين، كانت هناك صحافة ذات لغة مزدوجة، عبرية - عربية، وفرنسية، وتهم النوعين من القراء. وكان هناك عدد هام من الجرائد، لا يقل عن ٥٠ جريدة يهودية في الفترة بين ١٨٧٨ و ١٩١١، ومن بينها جرائد تسمي نفسها جهرا جريدة صهيونية.

وفي سنة ١٩٢٥ عادت الصحافة اليهودية، بعد أن تعطلت وقتا ما، الى سالف نشاطها منذ أن توقفت الحرب ورفعت حالة الحصار عن البلاد في آذار (مارس) ١٩٢١، وخصوصاً منذ أن صدر، في بداية ١٩٢٠، قانون يخلصها من بعض عقالها. ولقد تكاثرت الجرائد إلى درجة أن القراء اليهود والصهاينة ضاقوا ذرعا بغزارتها.

الصحافة الصهيونية:

سنقتصر، لقلة توفر الوثائق، على الجدول الذي وضعه السيد الهادي التيمومي للصحف الصهيونية الصادرة في تونس.

ثبت تقريبي (هو بالضرورة أدنى من الواقع) للجرائد اليهودية ذات الانتماء الصهيوني الواضح:

اسم الجريدة	فترة الصدور التي اعتمدناها	لغتها
البستان	١٩٠٤-١٩٠٦	العبرية - عربية
الاتحاد	١٩٠٤	العبرية - عربية
الصباح	(١٩٠٤-١٩٠٧)	العبرية - عربية
	(١٩١٢-١٩٤٠)	العبرية - عربية
LE JUDAISME TUNISIEN ET NORD AFRICAIN	١٩١٢-١٩١٤	الفرنسية
LA VOIX DE SION	١٩١٣-١٩١٤	الفرنسية
مبشرات صيون	١٩١٣	العبرية - عربية
(TUNISIA) اصبحت تسمى بداية من ١٩١٩ (L'EGALITE)	١٩١٤-١٩٣٩	الفرنسية
TUNIS REVUE	١٩١٦-١٩١٨	الفرنسية
كل صيون	١٩٢٠	العبرية - عربية
الوطن	١٩٢٠-١٩٢٢	العبرية - عربية
LA VOIX JUIVE	١٩٢٠-١٩٢٢	الفرنسية
LA VOIX D'ISRAEL	(١٩٢٠-١٩٢٧)	الفرنسية
	١٩٢٩-١٩٣٠	
LA CIVILISATION	١٩٢٠-١٩٢٩	العبرية
LA VOIX D'ISRAEL	١٩٢١	الفرنسية
L'AVENIR SIONSITE	١٩٢٢	الفرنسية
LA REVUE ISRAELITE سابقاً* (L'ANNUAIRE SIONSTE)	١٩٢٤-١٩٢٥	الفرنسية
LE REVEIL JUIF	١٩٢٤-١٩٣٣	الفرنسية
L'OEOUVRE ISRAELITE	١٩٢٦	الفرنسية

LA VOIX D'ISRAEL	١٩٢٩	الفرنسية
L'AURORE	١٩٣٣-١٩٣٤	الفرنسية
LA KADIMA	١٩٣٣-١٩٣٤	الفرنسية
LE HALOUTZ	١٩٣٣	الفرنسية
TEL AVIV	١٩٣٦	الفرنسية
LA NOUVELLE AURORE	١٩٣٦	الفرنسية
LA SEMAINE JUIVE	١٩٣٧-١٩٣٩	الفرنسية
LES CAHIERS DU BETAR	١٩٣٧	الفرنسية
LA GAZETTE D'ISRAEL	(١٩٤٥-١٩٥١) (١٩٣٨-١٩٣٩)	الفرنسية
LA VOIX JUIVE	١٩٤٣-١٩٤٥	الفرنسية
LES NOUVELLES JUIVES	١٩٥٠	الفرنسية

* لا نعرف متى بدأت هذه النشرية السنوية بالصدور.

تعريف التيارات السياسية الصهيونية الثلاثة:

١ ـ التيار الصهيوني الاشتراكي:

ان الصهيونية اليسارية تعتمد على كون المسألة اليهودية، لا تحل في نظام رأسمالي. ورغم ما أصبحت تتسم به الحركة الصهيونية الاشتراكية على المستوى العالمي من بداية الثلاثينات، لم يتمكن هذا التيار من اكتساب مواقع صلبة في تونس.

أ ـ تجمع هاشومير هاتسعير[١٠]

ان تجمع الهاشومير هاتسعير بتونس هو فرع من حركة الهاشومير هاتسعير العالمية، وهي منظمة ظهرت في منطقة فاليسيا ببولونيا أيام الحرب العالمية الأولى، ومعظم عناصرها من أصل يهودي من أوروبا الشرقية، وقد قرروا الاشتراك في تكوين مجتمع جديد في «أرض ـ اسرائيل». ولقد تأثرت هذه الحركة كثيرا بحركة الشباب الألماني. ومن بين مبادئها الايمان بأن للشباب قيمة خاصة وينطوي على ثروة لا توجد لدى الكهول وغيرهم من الفئات. وكان مثلهم الأعلى: ماركس وفرويد ونيتشه، كما كان عناصر هذه المنظمة يؤمنون ايمانا قويا بالمجموعة، فيقومون بكل الأعمال مع بعضهم، من الطعام الى النقاش؛ كما يرون

أن تربية الأطفال يجب أن تعهد الى المجموعة، فهم يرمون إلى ابدال نظام العائلة بالكيبوتس. ويذكر السيد الهادي التيمومي في كتابه «النشاط الصهيوني بتونس»، خمسة مبادىء لهذا التجمع وهي:

- قدسية العمل اليدوي.
- ضرورة فك الارتباط بمؤسسة العائلة.
- الالتزام بالولاء التام لمبدأ الحياة الجماعية.
- ضرورة الوعي الصحيح بالقضايا الجنسية.
- الصهيونية اشتراكية أو لا تكون.

أ - في تونس:

لم تلق مبادىء هذا التجمع - تجمع هاشومير هاتسعير - في تونس قبولا حسنا، خصوصاً بالنسبة للمبادىء المتعلقة بالعائلة والمسائل الجنسية. ولقد عبر أغلب الصهاينة في تونس عن استيائهم من هذه المبادىء، وقد كاتبت الكنفدرالية الصهيونية التونسية التي كانت بأيدي التصحيحيين المنظمة الصهيونية العالمية في آذار (مارس) ١٩٣١، متذمرة من المبادىء الهدامة التي يبثها هذا التجمع في أوساط الشباب اليهودي في تونس، غير أن المنظمة الصهيونية العالمية لم تكترث بهذا الموقف، نظرا للنفوذ الكبير الذي كان للاشتراكيين داخلها، وأعربت عن أسفها للجفاء الذي قوبلت به هذه الحركة التقدمية في تونس.

ب - في فلسطين:

أما في فلسطين فقد كانت للهاشومير هاتسعير، من الوافدين عليها سنة ١٩١٩، حركة شباب ومشاريع فلاحية تعتمدها للاندماج في الساحة الفلسطينية. وفي سنة ١٩٢٧، اتبعت الهاشومير هاتسعير اتجاهاً سياسياً جديداً، بقيادة أوريم موردسي، غير أن ذلك بدا لكثير من منتقديها أنه يبعدها عن

الصهيونية ويقربها من الشيوعية، ثم أصبحت الهاشومير هاتسعير حزبا مستقلا.

وفي السنة نفسها، ١٩٢٧، تأثرت الهاشومير هاتسعير بالسياسة الموالية للاتحاد السوفياتي التي ظهرت في بولونيا، مما خلق اختلافا بين الهاشومير هاتسعير والتيارات الأخرى.

وفي الثلاثينات، أصبحت مستوطنة الهاشومير هاتبسعير تعد ثلاثمائة عضو ومجموع سكانها حوالي ستة مائة أو أكثر.

وفي النقد الذاتي لهذه الحركة، أورد ايزار براي أحد منظريها أن العائق الذي يحد من نمو الحركة هو غياب الخط الأيديولوجي والسياسي الواضح. أما عن التيار الصهيوني اليساري بتونس «فان تعزيز صفوفهم ببعض الوافدين عليهم من التجمعين التصحيحي، وخصوصاً الصهيوني العام، لم يكن كافياً لانتشاله، من الوهن الكبير الذي أصابه بعد أن ارتد عنه أغلب أعضاء الهاشومير هاتسعير في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٤، ويكفي للتدليل على ضعفه أنه لم تكن له جريدة، ولو شهرية تنطق باسمه وقد واصل أعضاؤه التعامل من موقع التحالف النقدي مع الصهاينة العامين بهدف التصدي للتصحيحيين(١١).

II ـ التيار الصهيوني العام(١٢)

يعتبر هذا التيار في الوسط، بين التيار التصحيحي اليميني والتيار اليساري الذي من بين ممثليه «الهاشومير هاتسعير». وفي هذا التيار يتصورون الدولة اليهودية تابعة لكنفدرالية عربية ويؤمنون بالتعاون السلمي مع العرب، ومن أهم شعاراتهم، الوحدة، وحدة كل الفصائل اليهودية. غير أن هذه الحركة لم تكن جماهيرية، بل اقتصرت على فئة من المثقفين ومن صغار البرجوازيين اليهود ومتوسطيهم.

ولقد ضعفت الحركة الصهيونية العامة، على المستوى العالمي، في أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات، وأثر هذا الضعف على الحركة الصهيونية العامة بتونس، فأصيبت بالتفكك. ومن الأسباب التي يمكن اعتبارها فعالة، في هذا

الضعف، غياب الاجماع بين أعضاء هذا التيار حول مسألة الشكل الذي سيتخذه، في المستقبل، الوطن القومي اليهودي، على أنهم متفقون على الهدف، وهو تأسيس الدولة اليهودية.

وقد كان هذا التيار الصهيوني العام متعاطفا مع التيار اليساري. فتحالفوا، في عدة مناسبات، ضد الصهاينة التصحيحيين الذين يمثلون اليمين.

وكان اليسار الصهيوني العام في تونس هو التيار الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد التصحيحيين، من حيث الوزن الجماهيري، ويملك أعضاؤه أو الموالون له جريدة أسبوعية ناطقة بلسانهم وهي «الفجر LAUROR »، وقد صدر أول عدد منها، يوم ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣، ومن أبرز كتابها: كوهين حاضرية.

III. جابوتنسكي وظهور التصحيحيين:

١. حزب التصحيحيين:

فلاديمير جابوتنسكي هو يهودي روسي اشتهر هو وجماعته بعدائهم لسياسة وايزمن(١٣) التي تقوم على الديبلوماسية والتروي والاعتماد على بريطانيا، وكان يؤمن بضرورة الاسراع في الهجرة والاعتماد، بشكل رئيسي، على وحدات عسكرية يهودية. وهو أول من نادى، منذ المؤتمر الصهيوني الأول، ١٨٩٧، في بازل، بأن المملكة اليهودية يجب أن تؤلف من فلسطين كلها ومن شرق الأردن، ثم من النيل الى الفرات. وهو من المنادين، أيضا، بأن الوصول الى هذا يجب أن يتم «بالتجمع والاقتحام»(١٤) أي بالقوة المسلحة. وقد انفصم عن وايزمن والمنظمة الصهيونية، سنة ١٩٢٢ وأعلن مخططه بانشاء حزب سياسي جديد اسمه (Revisionists) «التصحيحيون»(١٥) ومن مبادىء هذا الحزب. تكثيف الهجرة، واستغلال البلاد وتعميرها، والاعتماد على القوة، ومن ذلك أنه أسس الكتيبة اليهودية. ويعرف جابوتنسكي الدولة اليهودية فيقول: «ما تعنيه، أولا، هو أن تكون الأغلبية في فلسطين للشعب اليهودي، بحيث تكون وجهة النظر اليهودية في ظل حكم ديمقراطي هي السائدة دائما، وأن يكون لها، ثانيا، حكم

ذاتي. ان ذلك سيرضيني تماما ما دامت لتلك الدولة حكومة ذاتية محلية تستطيع أن ترعى شؤوننا وما دام في البلاد أغلبية يهودية»(١٦).

وفي سنة ١٩٣٥ أعلن «التصحيحيون»، على اثر مقاطعتهم للمؤتمر الصهيوني التاسع عشر، تشكيل ما أسموه بالمنظمة الصهيونية الجديدة، كما أعلنوا عن المبادىء التالية:

هدف المنظمة:

- جعل فلسطين وشرقي الأردن وطنا للدولة اليهودية.
- تجميع كل يهود الشتات في هذا الوطن.
- بناء حضارة يهودية، لغتها العبرية، وروحها التوراة، ونظامها الحرية والعدالة الاجتماعية.

ومن بين مبادئها الأخرى: ديمقراطية الانتخاب الحر، والهجرة الحرة، كما أنها تنظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل.

والحركة التصحيحية العالمية هي حركة يمينية متطرفة، تعارض سياسة المراحل والحلول التي تسميها منقوصة.

٢ ـ التصحيحيون في تونس:

لقد كان التصحيحيون في موقع قوة بالنسبة للتيارات الصهيونية الأخرى بتونس. نظرا لتدعيم نفوذ الحركة التصحيحية العالمية في أوائل الثلاثينات. فلقد فاز التصحيحيون في كل الانتخابات لتمثيل الحركة الصهيونية التونسية في المؤتمر السادس عشر والسابع عشر، والثامن عشر المنعقد سنة ١٩٣٣.

كان التصحيحيون، في تونس، يسايرون ويقلدون كل ما تقوم به الحركة التصحيحية العالمية، فلقد قاطعوا كل المؤتمرات التي قاطعتها، وكذلك انشقوا عن المنظمة الصهيونية كما فعلت، فأسسوا منظمة جديدة تحمل الاسم نفسه، أي المنظمة الصهيونية الجديدة، كالتي أسسها جابوتنسكي قائد الحركة. وعلى عكس ما لاقته فكرة جابوتنسكي، من تكثيف الهجرة الى فلسطين في البلدان

الأخرى، لم تجد هذه الفكرة رواجا في تونس، بحيث لم يستجب لها في الفترة بين ١٩٣٢ و ١٩٣٩ الا ٩٠ شخصا، فقط، وهذا مما أثار غضبهم وجعل لهجتهم أكثر تأنيبا وتحريضا. ومن نشاط التصحيحيين، في تونس، تأسيسهم، في أواخر ١٩٣٣، فرعا لحركة الشبيبة التصحيحية العالمية المعروفة باسم بيتار.

الفصل الثالث

طبيعة الدولة وحدودها

طبيعة الدولة

التحليل الكمي

لقد قمنا بالتحليل الكمي، بالاعتماد على الأصناف التي ستدلنا على طبيعة الدولة التي تتصورها الصحف المعنية وهويتها، واعتمدنا في تعداد تواترها على وحدة الكلمة أو الجملة، حسب المادة التي كانت متوفرة لدينا. وحددنا هذه الأصناف، لأنها تستجيب إلى أهم اتجاهات الصحف في تصوراتها للدولة، ولأننا رأيناها كفيلة بتبيين نوع النظام الذي تنوي الصهيونية اتخاذه لدولتها. لقد مكننا تعداد تواتر ذكر هذه الأصناف من تحديد طبيعة الدولة، فعلاً.

ولقد حددنا صنف دولة يهودية قومية، طبقا للفكرة التي تروجها الصحف القائمة على أن الوحدة اليهودية هي التي ستحقق الدولة، والدولة هي التي ستحدد، في مرحلة أخرى، الوحدة القومية اليهودية. ثم، انطلاقا من تسمية الدولة اليهودية وما تعلنه الصحف عن عزمها على بناء دولة على المذهب اليهودي. أما صنف دولة استعمارية وتوسعية، فلقد تم تحديده، طبقا لما تصرح به الصحف من بعث نظام استعماري وتوسعي، طبقا لما تبديه من رغبة في ضم الأردن وتوسيع رقعة فلسطين.

ولقد ضمَّنَّا تحليلنا صنف دولة تعتمد رأس المال القومي، أو الخاص،

حسب ما أبدته الصحف من اعتماد على هذا وذاك. وحسب ما أبدته الصحف من اعتماد على الطبقة العاملة أو طبقة أصحاب رؤوس الأموال أو دفاع عن أي منهما. وسيدعم هذا الصنف نوعية النظام المتصور للدولة، وبصنف دولة تدافع عن اليهود أو الفلسطينيين. « وفلسطينيون » هناهي عبارة الصحف، وهي تعني بها اليهود وغير اليهود الموجودين في فلسطين، خصوصاً العرب، وترمي إلى استطلاع العلاقة التي يتصورها الصهاينة مع غير اليهود في المنطقة.

جدول التحليل الكمي لطبيعة الدولة في الصحف الثلاث				
الأصناف	الوحدة التحريرية الجملة أو الكلمة	صحيفة الحلوز	صحيفة الفجر	صحيفة اليقظة اليهودية
دولة قومية يهودية		٧	١٥	٣٥
استعمارية		١٠	٥	٧
دولة توسعية		٢	-	٦
راس المال القومي		١٧	-	-
دولة رأس المال الخاص		-	٣	٢
البروليتاريا		١٠	-	-
دولة تدافع عن البرجوازية		-	١	١
اليهود		٢	٢	٣
دولة تدافع عن الفلسطينيين		٦	٥	-

التحليل الكمي: المستوى الأيديولوجي				
الأصناف	الوحدة التحريرية الجملة - الكلمة	صحيفة الحلوز	صحيفة الفجر	صحيفة اليقظة اليهودية
الدين اليهودي		٢	٧	٩
الاضطهاد والتشرد		٢	٣	١٧
التاريخ العبري		٢	٣	١
الصهيونية		-	-	٢
الفكر الاستعماري		١٥	٤	-
القومية والوحدة	١٥	١٨	٨	٢٩

اعتمدنا في هذا التحليل الكمي على تعداد تواتر عناصر الأيديولوجيا التي تنشرها الصحف الثلاث، حتى نرى أيا منها تعتمد عليه في المرتبة الأولى، ولنبحث في تأثيره على طبيعة الدولة ووسائل انجازها.

المستوى الأيديولوجي عند الصحف الثلاث

ا ـ الدين والتاريخ:

تستعمل «الحلون» العبارات الواردة في الخطاب الديني وعبارات ذات ايحاءات تاريخية: [أرض اسرائيل]، وهذه الاثارة للدين، وهذا الاستعمال للعبارات التي تسترجع تاريخ اليهود ترمي الى اسناد فلسطين الى اليهود، فتتوج «الحلون» هذه السلسلة بالقول: «فلسطيننا». اذا، فهي تستعمل هذا العامل المزدوج الديني والتاريخي للتدليل على شرعية مطالبها، وهو تكوين دولة يهودية في فلسطين، وبالاستناد على هذا العامل نفسه ستتكلم هذه الصحيفة من «منطق الحق على فلسطين» و «الحق في الرجوع اليها».

والارتكاز على الدين والتاريخ يخدم فكرة أخرى، طورتها هذه الصحيفة، وهي فكرة «الشعب اليهودي». فالشيء الوحيد الذي يربط بين شتات اليهود هو الدين، فلذلك تستعمل مؤشرات، كسيرة الأنبياء والتذكير بتاريخ اليهود في فلسطين وتاريخ الدين اليهودي، حتى يلتف حوله اليهود. وتستعمل «الحلون» ألفاظا عبرية كايريتز اسرائيل و «قلوث»، للتذكير باللغة التاريخية الدينية لليهود وجعلها مؤشرا آخر لوحدتهم. ان هذه الفكرة هي عنصر دعاية متوجهة الى اليهود، بالدرجة الأولى، ثم إلى العالم، لخلق فكرة شعب يهودي، واقناع اليهود، أولا، ثم

العالم بذلك. غير أن اليهود، في هذا الظرف وعلى هذه الحال، لم يكونوا شعبا، اذ لا تتوفر فيهم الشروط التي يفرضها تكوين شعب، فلا ثقافة ولا لغة ولا وطن يجمع بينهم، اذ هم يتكلمـون، تقريبا، كل لغات العالم وينتمون الى جل رقاع العالم ويمسكون بثقافات العالم، كل بطرف.

ان فكرة الشعب اليهودي ركيزة اعتمدها الصهاينة في تكوين دولتهم، فهي تكرس فكرة القومية التي أقاموا عليها هذه الدولة، غير أن مؤشر الدين لا يكفي لبناء القومية. ولكن بالرغم من ذلك، جندت الحركة الصهيونية طاقاتها لاستغلال الخيط الوحيد الذي قد يوحدها، وكثفت ذكره وربطته بكل شيء.

في استعمالها للدين ورجوعها اليه، تؤكد «الفجر»، خصوصاً، على القيم الانسانية التي يحتوي عليها ويدافع عنها، قيم كـ «الأخوة» و «السلام»، وتقدم هذه القيم كجوهر للصهيونية وغاية لها: «نوجه أنظارنا نحو السلام والأخوة»، فهي عملية اقتباس لهذه القيم. وفي هذا السياق نفسه، تسعى صحيفة الفجر الى تقـديم الصهيونية كحركة روحية تريد الخير، فتقتبس من القاموس ألفاظا كـ «الخلاص» حتى تسبغ على حركتها نوعا من القداسة الدينية.

تؤكـد صحيفـة «الفجر» على الدور الذي يلعبه الدين في تكوين الوحدة القـوميـة لليهـود، اذ أنه يشكل عاملا فعالا في تحقيق هذه الوحدة وفي ابراز الشخصية اليهودية التي تدعم الوحدة. في الدين، تؤكد «الفجر»، خصوصاً، على الطقـوس الدينيـة اليهودية وتدعو اليهود إلى الحفاظ عليها حفاظا محكما، اذ باحياء هذه الطقوس يتكون لليهود مؤشر يجمع بينهم، أينما وجدوا ومهما ابتعدوا ومهما اختلفت لغتهم وتباعد مقرهم.

تحاول «الفجر» البحث عن الحضارة اليهودية السالفة لتخرجها للوجود، حتى تكون عاملا فعالا في تكوين وتحقيق وحدة اليهود: «الدين في اليهودية هو قبل كل شيء تعبير ديني وحضارة وطنية».

يمكن تفسير الاستعمال المكثف للدين والاثارة المتواترة لقيمه بسببين؛ الأول هو محـاولة اكســاب الحـركـة الصهيونية ومطلبها الرئيسي، أي الدولة اليهودية، الشرعية الدينية؛ والثاني هو تكريس الدين، كعامل وحدة، وهو عامل

فعال في بناء الدولة اليهودية. وتتفق «الفجر» و«الحلون» على اظهار الصهيونية كحركة سامية بحكم ما تحمله من قيم نبيلة، كما تتفقان على وجوب سيادتها للعالم، انطلاقا من هذا الاعتبار. ولكن، بالرغم من أن كلا الجريدتين تستعملان الدين كعامل ايديولوجي هام، فهناك اختلاف في الاتجاه، فبينما تقتصر «الحلون» على استعمال مؤشرات دينية كاشارة سيرة الأنبياء واستعمال بعض الألفاظ كـ «بني اسرائيل»، تتخذ الفجر نظرة أكثر محافظة وسلفية، اذ تدعو الى الحفاظ على الطقوس والحرص على تطبيقها الدائم والمتواصل من طرف كل اليهود.

فبعد اثارة الدين كعامل يكرس الوحدة اليهودية، توظف صحيفة «الفجر» عاملا آخر له الدور نفسه، وهو التاريخ العبري، كمؤشر يجمع بين اليهود المشتتين وتبرز الحضارة العبرية التي كانت تجمع اليهود، اذ أنه لم تعد لليهود، في هذا الوقت، حضارة واحدة، بل أصبحت لهم حضارات مختلفة لا شيء يجمع بينها. فلقد تأثر يهود الغرب بالحضارة الغربية، كما تأثر يهود الشرق بالحضارة الشرقية، فاختلفت حضارتهم. وبما أن الحضارة عامل أساسي في بناء الوحدة وتكوين شعب موحد وتأسيس دولة قومية، اعتمدت «الفجر» الحضارة والتاريخ العبري كعامل أيديولوجي هام، ركزت عليه خطابها. وتتفق «الفجر» مع «الحلون» في استعمال العامل التاريخي للبحث عن الشرعية التاريخية للدولة اليهودية، غير أن «الفجر» تتميز بالتأكيد على انفراد اليهود بتاريخ فلسطين: «القدس أرض التاريخ العبري العظيم». ولعل «الفجر» تعتمد من خلال هذه الجملة ذكر التاريخ العبري الذي تميزه بالعظمة، دون ذكر التاريخ العربي أو الاسلامي أو غيره، حتى تبرز أن التاريخ الوحيد لهذه الأرض هو التاريخ العبري، وكأن فلسطين لم تعرف غيره. وهكذا تسعى الى تبني وكسب انفراد الدولة اليهودية بالشرعية التاريخية وابراز الحق التاريخي لليهود على «أرض الميعاد».

تتميز «الفجر» بالتأكيد على طابع التجديد، وهو كذلك تكريس للشرعية التاريخية، فان الدولة اليهودية ستكون تجديدا واحياء للتاريخ العبري، وليس خلقاً من عدم. وتحاول الصهيونية، هنا، أن تبرز أن عملها ليس تسلطا على الأرض وانما هي تقوم بعملية استرجاع لها. فالأرض جديدة: «تل أبيب الحي

الجـديـد»، والشعب شعب جديـد: «اسرائيـل جديد»، لتجديد تاريخ أجداده ولتجديد أرض الأجداد. وهكذا تقدم صحيفة «الفجر» بناء الدولة كعمل شرعي.

وفي الاتجـاه نفسـه، يندرج عملها لتبرير وجود الدولة اليهودية. وتقدم «الفجر» الدولة اليهودية كضرورة، فهي تشكل حلا لمشكلة اليهود. وحتى يتخلص اليهود من الاضطهاد والعذاب التاريخي الذي يعانونه، ترى الفجر وجوب بناء الدولة اليهودية.

ومن الدين، تقتبس «اليقظة اليهودية» معاني وعبارات تدعم سياستها ومطلبها، فتقدم الدولة على أنها الوحيدة التي تحقق الخلاص لليهود من عذابهم: «الدولة = الخـلاص» فكلمـة خلاص كلمـة دينيـة بحتة، وتستعملها «اليقظة اليهودية» في خطابها، حتى تسبغ عليه طابعا من القداسة، كأنه كلام منزل. وبهـذا الخطاب، تتوجه الصحيفة الى العالم وكذلك الى اليهود، تستعمل هذه الألفـاظ وهـذه اللمحـة الدينيـة الميتـافيـزيقيـة لتضمن تأثيرها على اليهود، واستجابتهم لدعوتها، نظرا لما للدين من وقع كبير في نفوس البشر، المؤمنين به طبعا، خصوصاً وأنه، في هذه الفترة، كان من بين اليهود من يعتقدون بأن على اليهود أن يطالبوا بحق الأقلية، وأن يمكثوا في البلدان المتواجدين فيها، عوض المطالبة بالرجوع الى فلسطين والمطالبة بتمكين اليهود من الهجرة وتيسيرها لهم. فهـذه الأطروحـة منـاقضـة لأطروحة «اليقظة اليهودية» القائمة، أساسا، على الهجرة وعلى تكوين دولة يهودية كضرورة حتمية وهي، أيضاً، مناقضة لأطروحات التيارات الصهيونية التي تدعو الى استعمار فلسطين، الى وحدة الشعب اليهودي في فلسطين. وكانت «الاتحاد اليهودي» هي التي تنادي بحق اليهود كحق للأقلية. وقـد هاجمتهـا «اليقـظة اليهـوديـة» في عدد من المناسبات، لذلك كثفت هذه الصحيفـة اعتمـادها على الألفاظ الدينية، حتى تؤثر على اليهود وغير اليهود وتقنعهم بضرورة العمـل من أجـل بنـاء الدولة اليهـودية. كما تقدم «اليقظة اليهودية» بناء الدولة كأمر محتوم منزل(١٧) والصهيونية ليست إلا بصدد تطبيق هذا الأمر المنزل. ثم إن الدولة اليهودية أمر مقدر لا مفر منه. وبهذه الطريقة، تشجع «اليقظة اليهودية» على قبول الدولة اليهودية وتهاجم كل من خالف هذا

المشروع، وتحبط كل معارضة، وتسعى، هكذا، إلى اضفاء صبغة قدسية على السياسة الصهيونية، وبالتالي على الدولة الصهيونية. وهذا سبب ارتكاز الأيديولوجيا الصهيونية «لليقظة اليهودية» على الدين.

وان اتفقت «اليقظة اليهودية» مع «الحلون» و «الفجر» في استعمال الدين كعامل ايديولوجي هام، فقد اختلفت معها في طريقة هذا الاستعمال. أخذت كل من الصحف الثلاث الدين من منظارها الخاص، فلقد استعملت «اليقظة اليهودية» الدين لتكريس سياسة الهجرة التي ترتكز عليها، فاقتبست منه ألفاظا لتؤثر على الناس. وان كانت «الفجر» هي، أيضا، تسعى إلى كسب الصبغة القدسية، فهي تستعمل الدين استعمالا آخر، أو تنظر إليه بمنظار مغاير. «فالفجر»، زيادة على استعمالها لهذا العامل، بحثا عن شرعية للدولة اليهودية، تؤكد عليه كعامل وحدة بين اليهود. فهي تؤكد أكثر على الطقوس وترى فيها عاملا لابراز الشخصية اليهودية.

وبينما اقتبست «اليقظة اليهودية» من الدين عبارات «الخلاص» واقتبست «الفجر» عبارات كـ «أخوة وسلام»، تبدو «الحلون» التي استغلت الدين أقل من «اليقظة» و«الفجر».

٢ ـ الصهيونية حركة كونية أو قومية:

تحاول «الحلون» اعطاء الصهيونية مدلولا انسانيا، وتقدمها على أنها ليست حركة سياسية، فقط، بل، كذلك، حركة روحية، تهدف إلى احياء اليهود في العالم واخراج وحدتهم الروحية للوجود، وتذهب «الحلون» الى حد اعتبار هذه الحركة الصهيونية من بين القوى النادرة التي ما زالت تعمل لانتشال العالم ولارجاع الثقة. كل ذلك في سبيل اظهارها في مظهر الدفاع عن القيم الانسانية واكساب الصهيونية شرعية كونية.

وتبلور «اليقظة اليهودية» قيما مثل: «الانانية المقدسة» كجوهر للصهيونية، وتدعو اليهود الى التفرغ للصهيونية، كمثل أعلى، حتى تتحقق الدولة الصهيونية، كما تدعو إلى أن يتغلب المثل القومي على المثل الانساني، وتوصي

اليهود بالأنانية وايثار الهدف القومي والمنفعة القومية. ان هذا الشعار اللاانساني يدعو اليهود الى العمل بكل الطرق لتحقيق الدولة اليهودية. الطرق التي تخالف القيم الانسانية والتي لا يقبلها الضمير الانساني. هنا تكشف «اليقظة اليهودية» عن حركتها الصهيونية ذات الطابع اللاانساني. ثم تحاول أن تكسبها طابعاً وطنياً وشرعية وطنية: «الضمير القومي والأنانية المقدسة»، ثم تدعو إلى سيادة الصهيونية على العالم. وبتأكيدها على «العرق اليهودي»، تدعم الصهيونية الجانب العنصري من تفكيرها، والذي هو جوهر كيانها.

فبينما تقدم «الحلون» الحركة الصهيونية كحركة روحية كونية، وتقدمها «الفجر» كحركة تعمل الخير للبشرية ويجب أن تسود العالم بمبادئها السامية فهي «تصلي من أجل سعادة العالم»، تقدمها «اليقظة اليهودية» كحركة لانسانية تحوي مبادىء هدامة كالأنانية والعنصرية وتستوعبها كي تسود العالم.

ان تقديم الحركة الصهيونية كحركة ذات قيم سامية وتريد الخير للبشرية، جمعاء، له ما يفسره في هذا الظرف. فبتقديمها للحركة الصهيونية على هذا النحو، ترمي «الفجر»، إلى مواجهة اللاسامية التي اشتدت وطأتها في ذلك العهد، ١٩٣٣، سنة تولي هتلر الحكم.

لقد عمل هتلر على اضرام النار بكل ما أوتي من جهد، إلى درجة التأثير على الرأي العام العالمي. وتريد «الفجر» أن تبرز أنه، بالرغم من أن اليهود يقابلون بالكراهية والعنصرية اللاسامية ويعاملون معاملة غير حسنة، فالصهيونية لا تستحق هذه الكراهية، لأنها تكرس قيما رفيعة، فهي «تصلي من أجل الانسانية جمعاء»، ولذلك لا يجب أن تقابل بالسخط والاحتران. فالصهيونية تترفع عن كل هذه الممارسات، والفكر الصهيوني أسمى من كل الأفكار بحكم ما يحمله من قيم رفيعة، فلا تواجه هذه المشاعر بمثلها ولا ترد الفعل ازاء هذه الممارسات، فهي تترفع عن كل ذلك بحكم سمو قيمها.

٣ ـ الاضطهاد والتشرد:

يشكل هذا العامل العنصر الأيديولوجي الأساسي الذي تركز عليه «اليقظة

اليهــوديــة» أكثر من صحيفتي «الفجر» و «الحلون» وهما الاضطهاد والتشرد اللذان شهـدهما اليهود وتعرضوا لهما منذ أمد بعيد عبر بلدان العالم. تذكر «اليقظة اليهودية» هذا العامل وتؤكد عليه في جل افتتاحياتها التي اعتمدناها في هذه الدراسة، وبذلك تظهر أهمية هذا العنصر في الأيديولوجيا التي تقدمها، فهي تركز عليه، أساسا، لتبرر به سياستها، ومن هنا اهتمامها البالغ بألمانيا. فوجود ألمانيا وسياسة هتلر النازية وتركيزها على صبغتها اللاسامية، تكاد تكون جل الافتتاحيات الموجهة ضد هتلر. وهي تحث اليهود على الاطاحة به وبسياسته وبهـذه الهجمـة المكثفة التي انفردت بها «اليقظة اليهودية» اذ أن صحيفتي «الفجر» و «الحلون» لم توليا هذه المسألة مثل هذه الأهمية بل اكتفت بذكرها في بعض المناسبات، تهدف «اليقظة اليهودية» إلى وضع الاضطهاد نصب أعين كل اليهود، حتى تحثهم على العمل من أجل بناء الدولة اليهودية، كما أنها تستعمل عامل الاضطهاد والعذاب كعامل وحدة يحمل اليهود على التضامن «فلنعمل من أجـل أخـواننـا في ألمـانيـا». ومقابل هذا الاضطهاد والتشرد، تضع «اليقظة اليهـوديـة» حلا واحـدا هو فتـح فلسطين لليهود، كما تضع الدولة اليهودية كضرورة، فهي وحـدهـا الكفيلة بتخليص اليهـود من العذاب والتشرد وتحقق «التحرر الوطني» لهم. فالصهيونية، إذن، حسب هذا المنطق حركة وطنية وحركة تحرير وطني. هكذا تقدم «اليقظة اليهودية» الحركة الصهيونية كحركة وطنية شرعية، كسائر الحركات التي تستحق المساندة.

وبتـأكيـدهـا على عامـل الاضطهاد الذي شهده اليهود، تمهد اليقظة اليهـودية للسياسة التي تسميها سياسة الدفاع عن النفس، والتي هي قناع لسياسة ارهابية، محاولة اعطاءها شرعية، فتحاول أن تبرز أن من حق اليهود أن يدافعوا عن أنفسهم فترد عن اللاسامية بالقوة والارهاب، وهذا مخالف لمبدأ «الفجر».

٤ ـ الفكر الاستعماري:

تقوم هذه الفكرة على تقديم فلسطين كبلد فقير، متفسخ، ومستنقع ليست

له ثروات طبيعية ولا حتى بشرية، يعيش في القرون الوسطى، ثم يأتي اليهود برؤوس أموالهم ويأتي الاستعمار الصهيوني فيحول المستنقع الى حقول خصبة ويوجد حركة وازدهارا ويأتي بالخير للبلاد وينتشلها من الضنك الذي كانت عليه، وتبنى مؤسسات ويقام اقتصاد عصري وتتطور الأساليب بعد أن كانت تقليدية عديمة الجدوى: «يأتي اليهود بمثابة الثائر المجدد، ويأتي بالأساليب والأدوات الأوروبية والفكر الأوروبي ويحيي الأراضي برأسماله». هكذا قدم الصهاينة استعمارهم لفلسطين، وهكذا قدموا أنفسهم كأصحاب الأرض وأصحاب الغيرة عليها، يخلصونها من الركود ويحيونها من الخمول الذي أرداها فيه العرب الذين لا يحسنون استغلالها، وهم الذين سيخلصونها من الاستعمار البريطاني ويحققون لليهود التحرر الوطني. هذه هي الفكرة الاستعمارية الصهيونية التي تشبه، في صلبها، الفكر الاستعماري الأوروبي الذي اجتاح العالم في القرن التاسع عشر... ويذكرنا موقف الصهاينة، هذا، بغزو أمريكا، فيكاد يكون التخطيط نفسه، والسياسة نفسها، سياسة المستعمرات التي قدمت أمريكا كبلد جديد، لا يملكه أحد، كله غابات غير مستغلة، والزنوج الحمر ليسوا أصحابها وهم نفر يمكن طردهم، هذا التخطيط نفسه قام به اليهود نحو فلسطين ونحو العرب.

هكذا نلمس امتداداً لفكرة هي أساس الأيديولوجيا الصهيونية السياسية «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض»، بينما تؤكد «الحلون» أن فلسطين كانت، قبل مجيء اليهود، مستنقعا وبلادا فقيرة خالية من الثروات في محاولة لاباحة استعمارها، تؤكد «الفجر»، أكثر، على الطرف الثاني، أي على النهضة القومية (Renaissance nationale) ، على الازدهار الذي لحق البلاد بفضل الهجرة اليهودية. كما أنها تقدم هذا الوجود، وجود اليهود والاستعمار في فلسطين كحق لليهود على البلاد التي «ساهموا، إلى حد ما، في تنميتها بلحمهم ودمهم». فبما أن اليهود قد بذلوا كل جهدهم من أجل فلسطين، منذ أصبح من حقهم استغلالها، فأصبحت ملكهم. هكذا تعمل هذه الأيديولوجيا الصهيونية على تبرير استعمارها لفلسطين.

المستوى السياسي

ا. رأس المال القومي أو الخاص:

تركز «الحلون» اهتمامها على رأس المال القومي وتعتمد عليه في بناء الدولة اليهودية. ويتكون رأس المال القومي، هذا، عن طريق تدفق الهبات الى الصندوق القومي (K.K.L.) وبشراء «الشيقل»[١٨] وهو رسم المشاركة أو بطاقة الانخراط. ولم يكد يخلو عدد من صحيفة «الحلون» من النداء الى التبرع بالمال لفائدة الصندوق القومي أو شراء الشيقل، ولم تكف «الحلون» عن تعداد محاسن رأس المال القومي وتجديد النداءات لتضخيمه، فهو الذي سيبني المؤسسات ويهيء فلسطين لقبول المهاجرين اليهود. وترى «الحلون» أنه يخدم مصالح البلاد أكثر من رأس المال الخاص الاستغلالي، وتلاحظ أن رأس المال الخاص لم يحقق لليهود مأربهم في البلدان التي قصدوها، والتي استثمروا فيها رؤوس أموال طائلة، مثل أمريكا وغيرها من البلدان الأوروبية، ورأس المال الخاص، حسب «الحلون»، غير قادر على تحقيق الصهيونية بالطريقة الصحيحة التي تحقق لليهود الخلاص والرجاء في فلسطين لذلك ترى «الحلون» أنه يجب الاعتماد على رأس المال القومي، والتهافت على الصندوق القومي ويحتل الهاشومير هاتسعير، التجمع الذي تنطق «الحلون» باسمه في تونس، المرتبة الأولى في عمل الصندوق

القومي. ولقد ساهموا بأكثر من ٥٠٪ من مدخوله، ذلك لتضخيم رأس المال القومي[١٩].

ان هذا الصندوق سيصبح، اذن، حسب تصور «الحلون»، بيد الدولة اليهودية. فهو الذي سيبني المؤسسات التي ستصبح، بدورها، تحت ملك الدولة. اذن، فعبر رأس المال القومي والصندوق القومي، ترمي «الحلون» الى بعث نظام رأسمالية الدولة الذي سيعتمد على التمويلات العمومية لفائدة مشاريع الدولة، وستسيطر الدولة، هكذا، على وسائل الانتاج، وسينظم رأس المال القومي الحياة الاقتصادية؛ على أن وجود رأس المال القومي لا يمنع وجود رأس المال الخاص والمبادرة الشخصية «الى جانب رأس المال الخاص تطوير رأس المال القومي»[٢٠].

وبينما أظهرت «الحلّون» اهتماما كبيرا برأس المال القومي، وبينت اعتمادها عليه، وفصلت الدور الذي يلعبه في بناء الدولة وتهيئة الدولة وبناء الاقتصاد وازدهاره، اقتصرت «الفجر» على التلميح إلى رأس المال الخاص «المهاجرين ورؤوس أموالهم» الذي لم يرد ذكره إلا مرة واحدة طيلة الفترة التي اعتمدناها في هذا البحث. ومن هنا، يمكننا القول أن رأس المال الخاص يبدو هو المعتمد في بناء لدولة وازدهار الاقتصاد الذي سيمكن من ارتفاع نسبة الهجرة واستقرار أكبر عدد ممكن من اليهود في فلسطين. ويبدو، أن «الفجر» تنوي اقامة دولة تعتمد النظام الرأسمالي، ولعلها ستكون، كذلك، دولة ليبرالية، نظرا لما ترددده «الفجر» من أن الدولة ستضمن الحرية والأمن و «ستحقق لليهود الوحدة تحت شعار الحرية والأمن».

وتبرز «اليقظة اليهودية» من جهتها، اعتمادها على رأس المال الخاص، اذ «سيجد القادمون مصادر عيش جديدة: صناعات». وهي تشجع الهجرة، أي هجرة اليهود وهجرة رأس المال. ذلك أن «الهجرة ذات أهمية كبيرة للبلاد». اذن، فـ «اليقظة اليهودية» ترى مصلحة البلاد واليهود بيد رأس المال الخاص.

وتسند «اليقظة» للدولة دور الهيمنة والسيطرة على الساحة السياسية، باعطائها دور الحكم. وهي دولة لا تأخذ بعين الاعتبار الصراع الطبقي، فلا تؤمن في سياستها الداخلية بهذا المبدأ[٢١].

لا تدافع «اليقظة» اليهودية عن الأجور المنخفضة، ولا تدعو الى الارتفاع بمستوى العيش والأجور، حتى يكون هنالك أكبر قدر ممكن من الربح وأقل ما يمكن من المصاريف أو تكلفة الانتاج. فبقاء الأجور منخفضة، يتمكن رأس المال الاستعماري من النمو، ولكن نموه سيكون على حساب المستعمر الذي يجب أن يبقى على جهله، كما يجب أن يبقى مستوى عيشه منخفضاً، وان اقتضى ذلك استعمال القوة.

٢ ـ من أجل دولة قومية يهودية:

ان غاية الصحف الثلاث هي بناء دولة شعب يهودي، ولهذا تكرست كل عوامل الوحدة الكفيلة ببناء القومية اليهودية وبعث الدولة اليهودية.

تعمل «اليقظة اليهودية» من أجل بناء «دولة يهودية لليهود». وتبرهن هذه الجملة على أن اليقظة اليهودية تستثني كل ما هو غير يهودي من الدولة، فالدولة يهودية ولليهود فقط، ليس لغيرهم الحق فيها أو عليها. ولا مجال لغير اليهود ولا مكان لهم في هذه الدولة. وتكرس «اليقظة اليهودية»، من أجل هذه الدولة، كل معاني الوحدة والقومية ذلك «ان الفكرة القومية هي التي ستصنع الدولة اليهودية». وتقدم «اليقظة اليهودية» الوحدة والتضامن اليهوديين، كأساس للدولة اليهودية.

لقد أعلنت «الفجر» أنها ترمي إلى بناء دولة «على المذهب اليهودي»، فهي تعتبر أن فلسطين هي «وطن اليهود العتيق» و «وطن التاريخ العبري العظيم»، فالدولة التي ستقام عليها ستكون دولة قومية يهودية. ولذلك تكرس «الفجر»، من أجل هذه الغاية، كل ما يوحي بالوحدة لليهود وكل المؤشرات التي بامكانها أن تحقق لهم الوحدة القومية.

٣ ـ البرنامج السياسي للدولة اليهودية حسب «الحلوز»

ترى «الحلوز» أن حركتها الصهيونية يجب أن تتمادى في الكفاح، لتغيير

الوضـع في فلسطين وتحقيق خير الأمة اليهودية وتحقيق الدولة اليهودية التي يجب عليها أن:

- تعمل على تطور ونمو البلاد.
- تنظيم وتحسين الاقتصاد اليهودي.
- رفع مستوى العيش.
- رفع الأجور وتحسين ظروف العمل.
- تحسين ظروف عمل العامل العربي ودعم ضميره المهني.
- تحرير البلاد من الهيمنة الاستعمارية.

٤ ـ «الحلوز» والدولة العمالية:

ترى «الحلون» أن مصلحة البلاد، أي فلسطين، تقضي بمواجهة البطالة والأجور المنخفضة، لأن وجود البطالة وانخفاض الأجور سيقضيان على العمال، وبالتالي يقضيان على الانتاج، ومن خلاله يقضى على الصهيونية. ان مقاومة البطالة وانخفاض الأجور تمكن، حسب أطروحة «الحلون»، من التخفيض من وقت العمل اليومي أخذا عن البلدان الأوروبية، على أن هذا التخفيض لا تنجم عنه خسارة للأعراف، فالعامل الذي يشتغل في وقت أقصر يكون مردوده أكثر. وبالتخفيض في وقت العمل، يرتفع عدد العمال فيقضي على البطالة. ثم ان تكاثر العمال يشجع الهجرة ويمكن من القضاء على الأجور المنخفضة، دون تكبيد الأعراف خسارة، ودون الاخلال بالانتاج، بل على عكس ذلك ان تمكين العامل من أجر مرتفع يدفعه إلى الاستهلاك أكثر من ذي قبل. فالعامل الذي يتقاضى أجـرا ضئيلا لا يشتري كثيرا، واذا ما ارتفعت طاقته الشرائية فهو يتجه الى الاستهلاك أكثر، وبذلك يرتفع الانتاج. وتثري هذه العملية البلاد وتشجع الهجرة. وبالرفع من مستوى البروليتاريا الفلسطينية، تعتبر «الحلون» أنها لا تقوم بعمل مغاير ومضاد للصهيونية ولا ابعاد رأس المال وصده، بل، بالعكس،

فهي تمكنه من نمو أكبر، اذ بهذه الطريقة ترتفع الطاقة الشرائية للطبقة العمالية في فلسطين، الزبون الأول للمنتوج اليهودي.

٥ ـ بعث كنفدرالية العمال:

تقول صحيفة «الحلون» أن الكنفدرالية بُعثت للدفاع عن العمال، «عن البروليتاريا الفلسطينية»، وهي تحقق الصهيونية وتخلص اليهود من الفقر بفضل الكنفدرالية، لتتخلص فلسطين من العمل الثقيل، من حمل الفساد والبطالة والجهل. فالكنفدرالية تقاوم كل استغلال، وتقدمها «الحلون» على أنها منظمة الرجال والأحرار تدافع عن حقوق الشعب اليهودي وتخلصه من الظلم الذي عاناه، وتحقق له الوحدة القومية. ولقد قامت «الحلون» بدعاية لهذه المنظمة، مشجعة العمال على الانخراط بها. وتشيد «الحلون» بفوائد الكنفدرالية وبخدمتها لمصالح العمال واليهود والبلاد، وبالتالي مصالح الصهيونية.

وبينما تقدم «الحلون» نفسها كحليف للطبقة العمالية في فلسطين وحركتها على أنها تعمل من أجل «فلسطين عمالية»، تدعم «اليقظة اليهودية» النظام الرأسمالي وتدافع عن البرجوازية بدفاعها عن أصحاب البنوك الذين هاجمتهم «الحلون» بدعوى تعاملهم مع هتلر.

وتدعو «اليقظة اليهودية» الى بعث كنفدرالية للعمال مغايرة للتي تدعو اليها «الحلون»، بينما تنادي هذه الأخيرة ببناء كنفدرالية تدافع عن العمال وتضمن لهم مستوى عيش مرتفع بالدفاع عن أجورهم والسعي إلى رفعها. لكن «اليقظة اليهودية» تدعو من جانبها إلى تأسيس كنفدرالية لا تضم إلا العمال الذين لا يؤمنون بمبدأ الصراع الطبقي. فليست الدولة حليفا للعمال، وانما هي حكم بين القوى الاجتماعية، «على أن مبدأ الدفاع عن حقوق العمال يجب أن يكون على أساس مبدأ التحكيم القومي الضروري عنوان الانسجام بين المجموعات»[٢٢].

٦ ـ نظام استعماري توسعي:

تلتقي الصحف الثلاث عند نقطة: ارساء نظام استعماري في فلسطين.

لم تتـردد «الحلون» في ذكـر أن عمـل الصـهيـونية في فلسطين هو عمل استعماري، وهي ترمي إلى تبرير شرعية هذا العمل باستعراض المنافع التي تزعم حملها لفلسطين ولشعبها. كما لا تتردد «الحلون» في ذكر أن النظام الذي شرع في إقامته، أو بعبارة أخرى نظام الدولة، التي يعمل على بنائها في فلسطين، هو «نـظام استعماري»، بما أنها لا تخفي أطماعها التوسعية بأن تقول أن عرب الأردن قد انفتحوا، تلقائيا، للاستعمار الصهيوني. وهي بذلك تمهد لضم الأردن إلى الرقعة المرسومة في وعد بلفور. كما أن هذه الصحيفة لم تدّخر جهداً في العمل على تشجيع الهجرة وتوطين وتثبيت اليهود في فلسطين، وذلك دفاعا عن سياسة «الأغلبية لليهود في فلسطين».

وتـؤكـد صحيفة «الفجر» على ثبات اليهود في فلسطين وتشجع الهجرة وتـدافـع عنهـا، كمـا تعمل على تبريرها والدفاع عن مبدأ «الأغلبية لليهود في فلسطين». وهي تتفق، في هذه النقطة، مع «الحلون» التي دافعت، هي الأخرى، عن هذه السيـاسـة الاستعمـاريـة وسلكت السلوك الذي يتلازم معها. وتقوم السياسة الاستعمارية التي تقدمها «الفجر» والتي تنتهجها في فلسطين، على بناء مستعمرات يهودية تستغل اليد العاملة العربية، تستغل العمال العرب، والبدو، مقابل أجور منخفضة.

هذه، إذن، هي السيـاسـة الاستعمـاريـة القـائمة على شراء الأراضي والاستيلاء عليها واستغلال اليد العاملة الموجودة، وهي ستنمي الدولة اليهودية.

وعلى غرار «الحلون»، تصرح «اليقظة اليهودية» بأن عملها في فلسطين هو عمل استعماري، غير أنها تختلف عن «الحلون» بلجوئها الى بريطانيا ومطالبتها لها بتوفير كل العوامل التي تسهل عملها الاستعماري. وذلك في حين أن «الحلون» لا تؤمن بجدوى هذا اللجوء إلى بريطانيا، فهذا، كما تقول، لا يخدم الصـهيونية، بل يمنـع تحقيقهـا. ويتميـز هذا النـظام الاستعمـاري في «اليقظة اليهودية» بانتهازيته وتوجيهه نحو الاستغلال، استغلال ثروات البلاد وعمالها. ومن مظاهر هذا النظام الاستعماري تشجيعه للهجرة واعتماده على اقامة اليهود في فلسطين وملكيتهم للأرض.

ومثل «الحلون»، وخلافا لصحيفة «الفجر» يكتسب النظام الاستعماري الوارد في «اليقظة اليهودية» وتصورها للدولة اليهودية طابعا توسعيا. فهي لم تقتصر على الرقعة المحددة في وعد بلفور لقيام الدولة اليهودية، وانما تسعى الى ضم الأردن إلى فلسطين، «فلسطين ضفتي الأردن»، في سبيل تحقيق هجرة أوسع، وللاتيان بعدد أكبر من اليهود: «في الأردن هناك يمكن أن يستقر شعب أكبر».

هكذا، ردت «اليقظة اليهودية» على قرار بريطانيا للحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين، نظرا للخطر الذي أصبح يشكله اليهود على مصالحها، ونظرا لرفض العرب هذه الهجرة المتصاعدة، ونظرا لمحدودية طاقة واستيعاب فلسطين لهذه الجماهير الوافدة عليها. ويشكل هذا السبب الأخير النقطة التي اعترض عليها كل اليهود. وقد عبرت الصحف الثلاث عن رفضها له وقدحت في صحته، لأن الحد من الهجرة اليهودية مخالف لما تدافع عنه هذه الصحف، وهو مبدأ «الأغلبية لليهود في فلسطين»[٢٣].

وتحت لواء وشعار سياسة الدفاع عن النفس، تدعو «اليقظة اليهودية» الى استغلال القوة لمجابهة اللاسامية ومن أجل بناء الدولة اليهودية.

المستوى الاقتصادي والاجتماعي

١ ـ النشاط الاقتصادي:

يعتمد الاقتصاد الصهيوني في فلسطين، حسب «الحلون»، على رأس المال القومي الذي يلعب أدوارا مختلفة وأساسية في هذا الميدان. وهذه الأدوار هي التالية، حسبما قدمتها «الحلون»:

أ ـ **إستعمار الريف**: تقول «الحلون» أنه، علما بأن العمل الاستعماري الصهيوني يرتكز، خصوصاً، على شراء الأراضي وامتلاكها وتكوين سكان ريفيين، فإن العمال سيكونون قوة الدولة اليهودية. ولقد تبين، حسب «الحلون»، أن مجهود رأس المال الخاص، في هذا المجال، غير كاف، وقد بينت ذلك تجربة رأس المال الخاص، طيلة سنتي ١٩٣١ و١٩٣٢، كذلك فلقد اشترى اليهود ٣٣,٣٠٠ دونم[٢٤]. وكان نصيب الصندوق القومي منها ٢٠,٤٥٩، أي نسبة ٦١,٤٪، والشركات والمؤسسات الحرة ٣٦,٦٪. من هنا، إذن، تستخلص «الحلون» وجوب الاعتماد على رأس المال القومي لاستعمار الريف.

ب ـ **استغلال الحقول البور**: وقالت «الحلون» أن القطع المشتراة عن طريق رأس المال الخاص تابعة لقطاع زراعة القوارص (الحمضيات)، غير أنها ترى أنه لا يجب أن تقتصر الجهود على زراعة القوارص وان كانت ذات ربح كثير.

فيجب على الصندوق القومي أن يهتم بالقطاعات التي تحظى باهتمام رأس المال الخاص، بسبب تكلفتها الباهظة. فالصندوق يهتم بكل أنواع الزراعات حتى يجنب فلسطين خطر الزراعة الواحدة.

ت ـ شراء الأرض : أوردت «الحلون» أن الصندوق القومي تمكن من شراء ٢٠,٠٠٠ دونم قرب حيفا. ولقد جرى تقسيمها إلى قطع وبيعها بأسعار معقولة، حتى تسهل الهجرة ويتشجع العمال اليهود على القدوم إلى فلسطين، اذ يمكنهم الصندوق القومي من شراء قطعة أرض يقيمون فيها مقابل سعر في متناولهم.

ث ـ زراعة الغابات : ترى «الحلون» أنه، نظراً لأن ٣٠٪ من مساحة فلسطين هي غابات، فيجب استغلالها حتى تعود بالنفع الى الاقتصاد والناس، وتترك للصندوق الاضطلاع بهذه المهمة، خلافا لما أظهره رأس المال الخاص من اهمال لهذا القطاع. ويضطلع الصندوق القومي بمهام أخرى تعتبرها «الحلون» حاسمة في بناء الدولة اليهودية وتشجيع الهجرة وتهيئة البلاد لتقبلها. ويتدخل الصنـدوق القومي في جل النشاطات ويشمل كل القطاعات، فزيادة على شراء الأراضي لتحسين الفلاحة، يقوم بحفر الآبار لتطوير الزراعات وتحسينها. وفي المجال الاجتماعي، يتكلف الصندوق القومي ببناء أحياء سكنية شعبية لا تكلف طبقة العمال الكثير وتيسر لهم عيشهم. كما يعتني الصندوق بقطاع التعليم، فيبني المدارس ويتكفل بالمربين. ونظرا لكل هذه المهام للصندوق القومي، تقدم «الحلون» هذه المؤسسة كضرورة لتحقيق غايتهم، وهو العنصر الوحيد الفعال في بناء الدولة اليهودية والقادر على تحقيق الخير والازدهار لليهود، كما أنه، وحده، القادر على بناء الوحدة القومية لليهود.

أما النظام الاقتصادي الذي تصوره «الفجر» فهو نظام رأسمالي يعتمد على رؤوس أموال المهاجرين لبناء الاقتصاد. فبرؤوس أموال الخواص ستشترى الأراضي وتبنى المستعمـرات الفـلاحية، ورأس المال الخاص هو الذي سيوفر أماكن العمل ويهيء البلاد لقبول اليهود الوافدين، ببعثها لأنشطة اقتصادية تضمن لهم حياة كريمة.

والنظام الاقتصادي الذي تتصوره «اليقظة اليهودية» للدولة اليهودية هو،

أيضاً، نظام رأسمالي يعتمد رؤوس الأموال الخاصة التي سترد الى البلاد عن طريق الهجرة، «سيجد القادمون مصادر عيش جديدة، صناعات تمكن عشرات الالاف من اليهود من القدوم». فهي التي ستنشىء صناعات وتوجد مواطن شغل لليهود. وسيعمل رأس المال الخاص الوافد على فلسطين على توفير الأرباح، باستغلال اليد العاملة. ولم تفصل «اليقظة اليهودية» دور رأس المال الخاص وأوجه نشاطه وطريقة بنائه لاقتصاد البلاد.

٢ ـ الحياة الاجتماعية:

ان هذه الدولة التي تقدمها «الحلوز» كدولة عمالية، تعتمد رأس المال القومي وتقدم نفسها كحليف للطبقات الشعبية وتضمن برامجها وخططها ضمانات اجتماعية ليهود الفلسطينيين. ومن العوامل التي تؤكد «الحلوز» عليها والتي تعتبرها ركيزة الحياة الاجتماعية للأفراد، تقديم ضمانات اجتماعية هامة للطبقات الشعبية، عن طريق محاربة الاجور المنخفضة. وهي تمكن الطبقة الغنية من توظيف أموالها كما تمكن، من جهة أخرى، الطبقات الأقل حظا من الاستفادة منها تحت هيمنة الدولة وفي ظل رعايتها.

ولم تعلن صحيفة «الفجر» عما تنوي القيام به على المستوى الاجتماعي، ولم تذكر ما ستكون عليه السياسة التي ستنتهجها الدولة على هذا المستوى، وانما اكتفت بالتلميح إلى أنها ستضمن لليهود حياة كريمة في فلسطين.

ولا تذكر «اليقظة اليهودية» ما تعتزم القيام به لفائدة سياسة اجتماعية واضحة، ولم تبرز اهتماما بمستوى عيش الأفراد. فهي لا تتحدث عن رفع الأجور لتحسين هذا المستوى. فرأس المال الاستعماري لا يهتم بالمستوى الاجتماعي ولا يسعى الى بعث التحسينات أو تقديم أي ضمانات للأفراد، اذ كان همه الوحيد هو استغلالهم.

طبيعة الدولة عند القادة الصهاينة

بعد استعراض طبيعة الدولة عند الصحف الثلاث: «الحلوزن» و «الفجر» و «اليقظة اليهودية»، وبعد أن بينا ملامحها على المستويات الثلاثة، الأيديولوجي والسياسي والاقتصادي، سنعمد الى تقديم الدولة أو طبيعة الدولة، حسبما قدمها القادة الصهاينة، لنرى مدى التطابق بين اطروحتي هذه الصحف والقادة، أو لنسجل البون بينهما، اذا كان لذلك مجال.

١ ـ طبيعة الدولة اليهودية عند هرتزل:

كانت النقطة الأولى في استراتيجية هرتزل لتحقيق الدولة اليهودية هي الأرض، الأرض أولا، ولو في شرق افـريقيـا أو الأرجنتين. وبعد وضعه لكتاب «الدولة اليهودية» وعقده المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧، صار هرتزل يبني خطته على نقطتين:

أ ـ الهجرة الواسعة.

ب ـ امتلاك أرض يكون اليهود فيها أحرارا.

وفي كتابه «الدولة اليهودية»، صرح هرتزل بأنه يعتبر الملكية الديمقراطية أو الجمهورية الأرستقراطية كأحسن شكل للدولة اليهودية، وقد قال: «أفكر في جمهورية أرستقراطية حتى يأتي الحكم من فوق، ولكن دون أن تستعبد الدولة

اليهودية أحدا»[٢٥]. ويتابع هرتزل حديثه عن الدولة بالقول أنها ستكون دولة محايدة في اتصال دائم مع أوروبا التي ستضمن وجودها، ولن يكون للدولة نظام ديني. ويقول، ايضاً: «جمعتنا العقيدة لكن العلم يحررنا»[٢٦].

وفي بناء الدولة اليهودية، يعتمد هرتزل على منظمتين: منظمة اليهود التي ستهتم، بعد أن يتم الحصول على الأرض، بهجرة اليهود وبامتلاك هذه الأرض (فلسطين)، وستنسق هذه المنظمة أعمالها مع منظمة أخرى، هي الوكالة اليهودية التي هي هيئة قانونية تحت حماية القانون البريطاني، وستكون مهمتها الاهتمام بالمصالح المادية للمهاجرين، وارساء أسس للعلاقات الاقتصادية، علاقات طبيعية وعملية في «البلد الجديد»، وان عمل هاتين المنظمتين سيفتح الباب لرواج الثروات وايجاد الأسواق التي ستجلب مستعمرين جدد. وقد صرح باروخ هاجني، في الصفحة ١١٢ من كتابه «الصهيونية السياسية»، بأن هرتزل قد أراد القيام باستعمار جماهيري (Colonisation de masse) . وفي رسالة بعث بها لكرومن، كشف هرتزل عن طبيعة عمله الارهابي والاجرامي بقوله: «أفضل أن آخذ فلسطين بالفتح واراقة الدماء»[٢٧].

٢ ـ الدولة عند جابوتنسكي:

في تعريفه للدولة، يقول جابوتنسكي: «ما تعنيه الدولة اليهودية، أولاً، هو أن تكون الأغلبية في فلسطين للشعب اليهودي، بحيث تكون وجهة النظر اليهودية في ظل حكم ديمقراطي هي السائدة دائما، وان يكون لها، ثانيا، حكم ذاتي. ان ذلك سيرضيني تماما، ما دامت لتلك الدولة حكومة ذاتية محلية تستطيع أن ترعى شؤوننا، وما دام في البلاد أغلبية يهودية»[٢٨].

ولقد رسم جابوتنسكي لنفسه مخططا حدد فيه أغراضه الصهيونية بالعودة الى صهيونية هرتزل، وذلك بالعمل لاحلال أغلبية يهودية في فلسطين، في أسرع وقت ممكن. ولذلك وضع هرتزل خطة تقضي بتهجير ٤٠,٠٠٠ يهودي في السنة، لمدة خمسة وعشرين عاما. وأعتقد جابوتنسكي أنه بالامكان ذلك، اذا ما بذلت الجهود الكافية لتوسيع طاقة البلاد على الاستيعاب، والذي سيتم باحياء

الأراضي البور وتأميمها وتقوية الصناعة والتجارة. وأعلن جابوتنسكي، في خطته، أنه «بسبب فقدان الأمن في فلسطين يجب أن ننشيء وحدات عسكرية يهودية للدفاع». وأعرب جابوتنسكي عن هدف منظمته المتمثل في «جعل فلسطين وشرقي الأردن وطنا للدولة اليهودية، وتجمع كل اليهود فيها، وبناء حضارة يهودية، لغتها العبرية وروحها التوراة ونظامها الحرية والعدالة الاجتماعية، وتقوم على ديمقراطية الانتخاب الحر».

٣ ـ الدولة عند بن غوريون:

أما بالنسبة لبن غوريون الذي يمثل اليسار، فهو، كهؤلاء، يرى أن الاستقلال السياسي اليهودي في فلسطين لن يبرز إلى الوجود ان لم يسبقه استقلال اقتصادي، وذلك ببعث مجموعات يهودية في فلسطين، تكتفي بنفسها، وليست تابعة لعمل الآخرين، تراقب بنفسها تركيبتها الاقتصادية. فحسب بن غوريون لا وجود لسياسة بدون قوة اقتصادية، «بدون اقتصاد يهودي، لن يكون هناك دولة يهودية».

٤ ـ مدى تأثر الصحف الثلاث بهذه الأطروحات:

بعد استعراض طبيعة الدولة وشكلها، حسب ما عبر عنه القادة الصهاينة، قادة الحركة الصهيونية، نلاحظ وجود تطابق بين ما قدمته الصحف الثلاث: «الحلون» و «الفجر» و «اليقظة اليهودية»، وبين ما أورده هؤلاء القادة فيما يتعلق بطبيعة النظام الاستعماري وطبيعة العمل الارهابي الصهيوني الذي ظهرت بذوره، خصوصا، في صحيفة «اليقظة اليهودية»، فالنقطتان اللتان بنى عليهما هرتزل خطته السياسية، المتمثلة في الهجرة الواسعة واحتلال الأرض، تمثلان حجر الزاوية في كل الأطروحات السياسية التي قدمتها هذه الصحف الثلاث. وقد كرست سطور مقالاتها لتدعيمها والمناداة بها والعمل على انجاح هذه الأسس للعمل الاستعماري الصهيوني. لقد كرست هذه الصحف سياسة

الاستعماري الجماهيري (colonisation de masse) التي وضعها هرتزل واعتزم القيام بها. كما دعت هذه الصحف الى العمل بسياسة المستوطنات التي (colonies depeuplement) نادى بها بن غوريون والمتمثلة في بعث مستوطنات يهودية في فلسطين. وتحدثت الصحف الثلاث عن المستوطنات، ودعت الى الزيادة في عددها أكثر من مرة. ولا داعي للتذكير بالأهمية التي أولتها هذه الصحف للهجرة؛ فيكاد موضوع الهجرة أن يكون موجودا في غالب الافتتاحيات التي تناولتها الدراسة. غير أنه بالرغم من تلميح هذه الصحف وتقديمها لتصورها لنظام الدولة اليهودية، التي هي قيد البناء، لم تعطها الشكل نفسه تماما، الذي أعطاه قادة الحركة الصهيونية ومنظروها، فلا نجد أثرا للملكية الديمقراطية أو الجمهورية الأرستقراطية التي حددها هرتزل بالرغم مما تصرح به، هذه الصحف من ولاء تام لهرتزل ولعزمها على تطبيق «صهيونية هرتزل، الصهيونية الحقيقية».

إذن، فالهدف واحد، عند الجميع، وهو بناء الدولة اليهودية، والسبيل الى ذلك واحد، عند الجميع، وطريقة العمل تكاد تكون هي نفسها، الاستعمار والتسلط بكل الطرق واستعمال القوة، فهو الكفيل بتحقيق مآرب الصهاينة الذين يريدون بناء الدولة في أسرع وقت ممكن.

٥ ـ مثال صحيفة «اليقظة اليهودية»:

نجد في صحيفة «اليقظة اليهودية» تكريسا وتركيزا عريضا لمبادىء جابوتنسكي وخصوصاً لنقطتين هامتين في سياسته وهما:

أ ـ الأغلبية اليهودية في فلسطين، ومنها تكثيف الهجرة والتأكيد عليها، كنقطة هامة في الاستراتيجيا السياسية اليمينية الصهيونية.

ب ـ سياسة الدفاع.

وكانت «اليقظة اليهودية» مصرة على ضرورة هجرة اليهود المكثفة الى فلسطين، وكانت تعمل على تشجيع اليهود وتحريضهم على ذلك، وكانت تستعمل، خصوصاً، العنصر الأيديولوجي المتمثل في التذكير بالاضطهاد الذي يعاني منه

اليهود والظروف التي تحف بهم من جراء اللاسامية حتى تحثهم على الهجرة الى فلسطين، «بلاد الخلاص»، والاستيطان بها. وفي ندائها هذا، كانت اليقظة لا تتوجه إلى يهود تونس، فقط، بل الى يهود العالم كله، كذلك. ولقد نشرت في افتتاحيتها ليوم ١٩ أيار (مايو) ١٩٣٣، «ان عشرات الآلاف من البشر يمكنها القدوم الى فلسطين بدون مضايقة سكانها، وسيجد القادمون من مصادر عيش جديدة، صناعات تمكن عشرات الالاف الأخرى من القدوم، ٧ ملايين يهودي يستطيعون الاستقرار في فلسطين في بضع سنين والعيش في سعادة اذا ما فتحت البلاد بكل حرية». هكذا، إذن كانت «اليقظة اليهودية» ترجمة مطابقة للأصل لادارة جابوتنسكي ولسياسته، فقد برهنت هذه الصحيفة عن ولائها التام للسياسة التصحيحية اليمينية، ووفائها لمبادىء المنظمة الصهيونية الجديدة، وهي المنظمة التي أسسها التصحيحيون برئاسة جابوتنسكي، اثر انسلاخه عن المنظمة الصهيونية العالمية. ومن أبرز مبادىء هذه المنظمة الجديدة:

الهجرة الحرة:

ان حق كل يهودي في دخول فلسطين هو حق مطلق؛ وان اعتراض سبيل الهجرة اليهودية يعد جريمة؛ وان وقف هذا الاعتراض واجب.

كانت هذه المبادىء هي نفسها التي جندت «اليقظة اليهودية» نفسها للدفاع عنها، فالأمر واضح، إذ هنالك تطابق كلي في العمل والمبادىء بين المنظمة الصهيونية الجديدة ولسانها الرسمي بتونس، «اليقظة اليهودية».

أما الركيزة الأخرى للسياسة اليمينية الواردة في مبادىء المنظمة الجديدة فهي حق اليهود في الدفاع عن أنفسهم. فمن المبادىء البارزة في برنامج المنظمة؛ الدفاع: «لبناء دولتنا لا نسأل الانتداب أية تضحية بمال أو برجال. اننا نحن نبني ونحن نمول ونحن نقدم الجنود».

لقد أكدت اليقظة اليهودية على هذا المبدأ، مبدأ الدفاع، ودافعت عنه وسعت الى تبريره وتبيان شرعيته، وذلك بالربط بين الاضطهاد الذي يعانيه اليهود وبين حقهم في الدفاع عن أنفسهم باستعمال كل الطرق، وهي تعني بذلك القوة.

ورد في هذه الصحيفة أن اليهود سيدافعون عن أنفسهم، «باللغة» و «المسدس» لضمان حقهم في الأرض في أكثر من مناسبة.

ومن المبادىء الأخرى للمنظمة الجديدة، التي كرست اليقظة نفسها للدفاع عنها، مبدأ بعث منظمة عمالية تابعة لها أي مختلفة عن الكنفدرالية العمالية التي دعا لها اليسار وأسماها «منظمة العمال القومية». وقد فصّلت الصحيفة الحديث عن هذه المنظمة والتعريف بها وبأهدافها ومنهجها وتمجيد مزاياها، في افتتاحيتها ليوم ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٣.

ومن النقاط الأخرى التي تبرهن على ولاء «اليقظة اليهودية» التام للمنظمة الجديدة وولائها لجابوتنسكي نشرها لمنشورات هذه المنظمة ولنصوص كتبها جابوتنسكي كافتتاحية لها (٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر). هكذا، اذن، يبرز للأعين أن «اليقظة اليهودية» هي لسان المنظمة التصحيحية الصهيونية بتونس.

تطبيق هذه المفاهيم

لم يكن اليهود يمثلون، سنة ١٩١٧، الا ٧٪ من مجموع سكان فلسطين، ثم ارتفعت نسبتهم، بين ١٩١٦ و ١٩١٨، فأصبح عددهم ٥٥٠٠٠، وفي ١٩١٩ أصبحـوا يملكـون ٦٥٠٠٠ هكتار في فلسطين، وفي ٢٥ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٠، وقع اقتسام الايالات العثمانية في المجلس الأعلى للحلفاء المنعقد بسان ريمو (San Rémo) ، فتقرر أن تعود فلسطين وجنوب سوريا والعراق الى بريطانيا، وصار لبنان من حصة فرنسا. ولقد مثلت هذه القسمة انتصارا للصهاينة، اذ أن حماية فلسطين تجبر بريطانيا على تنفيذ وعد بلفور والالتزام به وفي ١٦ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٢، تمت المصادقة على وعد بلفور من طرف عصبة الأمم. على أنه تم تحوير في البند الخامس والعشرين منه، ويقضي بأن الأردن أو الضفة الشرقية تعود إلى الأمير عبد الله. وفي الاحصائيات التي أصدرتها بريطانيا سنة ١٩٢٢ و ١٩٣١، نلاحظ الأهمية المتزايدة للهجرة. فأعداد اليهود تضاعفت في عشر سنوات، واصبح عددهم ٨٨٧٩٠ يهوديا من مجموع ٧٥٢٠٠٠ من سكان فلسطين، سنة ١٩٢٢، ثم أصبح عددهم ١٧٤٦٠٠ من مجموع ١٠٣٣٣١٤ من السكان، سنة ١٩٣١. وحصلوا على ٦٥٠٠٠ هكتار سنة ١٩٢٠، وارتفع هذا الرقم الى ١٢٠٠٠٠ سنة ١٩٣١، علما بأن مساحة فلسطين، حسب ما جاء في صك الانتداب ٢٧٠٢٧ كلم^{2} و ٧٠٤ كلم ماء.

وكانت الهجرة ترتفع من سنة إلى أخرى، فكان عدد المهاجرين سنة ١٩٣٢: ٢٥٠٠٠ مهاجر، ثم ارتفع الى ٣٠٠٠٠ مهاجر سنة ١٩٣٣، ثم أصبح ٤٢٠٠٠ سنة ١٩٣٤ و ٦٢٠٠٠ سنة ١٩٣٥، من مجموع ١٥٠٠٠٠٠ ساكن. وخلال السنوات ١٩٣٤-١٩٣٦ حصلت المنظمات الصهيونية على ١٣٥٠٠ هكتارا. ولقد دعا المجلس التنفيذي العربي الى مقاطعة بريطانيا، ولكن هذا النداء أدى الى مظاهرات واصطدام بالشرطة البريطانية، فأسفرت عن ٢٧ قتيلا و ٢٠٠ جريح. ثم تلت هذه الحادثة مظاهرات في نابلس وحيفا، وكذلك اضطرابات سنة ١٩٣٥، وفتحت مداولات بين العرب وبريطانيا حول ايجاد حكومة ديمقراطية. وفي سنة ١٩٣٦، اندلعت الثورة الكبرى. وفي ٧ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٧، صدر تقرير بيل (Peal) فصرح بأن اضطرابات سنوات ١٩٢١ و ١٩٣٦ ناتجة عن:

- رغبة العرب في الحصول على استقلالهم الوطني؛
- رفضهم لاقامة وطن يهودي في بلادهم فلسطين.

ومن هنا، يستخلص التقرير أن المصالح العربية لم تتماش، أبدا، مع المصالح اليهودية في ظل الانتداب، ويقترح تقسيم فلسطين الى دولة يهودية تضم (Israel et Gallilée) والسهول الساحلية هي حدود نقطة بين يافا وحيفا، أي ٢٠٪ من مساحة البلاد. ويضم باقي البلاد إلى الأردن وتبقى القدس وبيت لحم وما بينهما تحت الحماية البريطانية، ولقد رحب الصهاينة، في مؤتمرهم المنعقد في ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٧، بزوريخ، بفكرة التقسيم، لكنهم لم يقبلوا الحدود المقترحة. ومن جهة أخرى رفض العرب فكرة التقسيم رفضا باتا، وصرحوا بأن فلسطين عربية وأنه لن يتم سلخ أي منها عن الأمة العربية. ثم أرسلت بريطانيا بعثة تحقق في تقرير بيل وتحاول التوفيق بين المصالح العربية واليهودية، غير أنها أخفقت في سعيها. وهكذا، أخفق مشروع بيل لتقسيم فلسطين. وكمحاولة أخيرة لايجاد وفاق بين الطرفين، قامت الحكومة البريطانية، في شباط وآذار (فبراير ومارس) سنة ١٩٣٩، بجمع العرب واليهود على طاولة نقاش. على أن هذه المحاولة أخفقت، أيضا، نظرا لرفض الطرفين تقديم تنازلات. وفي ١٧ أيار (مايو) ١٩٣٩،

والعـالم على أبواب الحرب العالمية ثانية، أصدرت بريطانيا «الكتاب الأبيض» وأعلنت فيه أن فلسطين ستكون دولة مستقلة، بعد عشر سنوات، وأنه لن يكون هنـالك تقسيم، وستكون دولة متحدة يشارك العرب واليهود في حكمها، لحفظ مصـالح المجموعتين. كما أعلنت أن الهجرة اليهودية ستتواصل في حدود طاقة البلاد على الاستيعاب، حتى يصبح اليهود يمثلون ثلث مجموع السكان، ابتداء من نيسان (ابريل) ١٩٣٩. وخلال السنوات الخمس المقبلة، سيتمكن ٧٥٠٠٠ مهـاجر من القدوم إلى فلسطين، بمعدل ١٠٠٠٠ مهاجر في العام، اضافة إلى ٢٥٠٠٠ لاجىء. وبعد هذه الفترة، لن تكون هنالك هجرة يهودية الا اذا سمح بها العرب. وستكون للمندوب السامي البريطاني السلطة لمنع تحويل الأراضي العربية الى اليهود، في جهات، وتحديدها، في جهات أخرى.

هكـذا انتهت هذه الحقبـة، حقبـة الثـلاثينات باندلاع الحرب العالمية الثانية. وتبنت، على الأثر، الجامعة العربية المتأسسة سنة ١٩٤٥، في ٢٢ اذار (مارس) القضية الفلسطينية. وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، صادقت الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين الى دولة فلسطينية وأخرى يهودية، فتشغل اليهودية نسبة ٥٤٪ من المساحة العامة للبلاد، بينما كان عدد اليهود ٥٨٩٣٤٠، مقابل ١٩٠٨٧٧٥ من مجموع السكان. ثم توجت هذه السياسة الصهيونية ببعث الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨.

الفصل الرابع

حدود الدولة وسكانها

التحليل الكمي: حدود الدولة				
الأصناف	الوحدة التحريرية	الصحف		
	الجملة أو الكلمة	الحلوز	الفجر	اليقظة اليهودية
حدود تاريخية		١٠	٩	٥
حدود وعد بلفور		١٣	١١	٨
حدود توسعية		١	-	٥

لقد عمدنا إلى تعداد الأصناف التي يتضمنها هذا الجدول لنتبين أن غاية الصهيونية ليست استرجاع حق تاريخي كما تزعم، وانما غايتها الاستعمار والتوسع.

حدود الدولة

١ ـ عند الصحف الثلاث:

أشارت الصحف الثلاث: «الحلون» و «الفجر» و «اليقظة اليهودية» الى الحدود التاريخية لفلسطين وللدولة اليهودية، باستعمال عبارات كـ «أرض الأجداد» و «الرجوع إلى صهيون» و «ايريتز اسرائيل»؛ ولكنها لم تبين هذه الحدود، بالضبط، ولم تسطرها، بل اقتصرت على ايراد التسميات. كما اتفقت الصحف الثلاث على بناء الدولة اليهودية في فلسطين أي على كامل فلسطين، خلافا لما نص عليه وعد بلفور، أي حق اليهود في بناء وطن قومي في فلسطين.

وزيادة عن الاستيلاء على كامل تراب فلسطين لاقامة الدولة اليهودية، عبرت صحيفتا «الحلون» و «اليقظة اليهودية» عن الغاية التوسعية للصهيونية ولدولتها. ولقد ورد في «الحلون»، ليوم ٧ نيسان (ابريل) ١٩٣٣، أن عرب الأردن يعولون على الصهيونية لتنتشل البلاد من الفقر، ويقترحون على الصهاينة الأردن كرقعة أوسع لاقامة دولتهم. وقالت «الحلون» أن «الأردن قد انفتح تلقائيا للاستعمار الصهيوني». بهذه العبارات، كشفت «الحلون» عن طبيعة عملها الصهيوني الاستعماري التوسعي في فلسطين وفي الشرق الأوسط بصفة عامة.

وكذلك فعلت «اليقظة اليهودية» التي تعتبر أن الأردن بطبيعته وبحكم

تاريخه تابع لفلسطين. ولمواجهة موقف بريطانيا وسياستها التي تحدد الهجرة اليهودية الى فلسطين وتفرض عليها شروطاً وترتيبات معينة، بدعوى أن البلاد، أي فلسطين، لم تعد قادرة على استيعاب كل تلك الجماهير الوافدة عليها، والتي يبذل الصهاينة، وفي طليعتهم اليمين، قصارى جهدهم لبلوغ أكبر عدد ممكن من المهاجرين، قدمت «اليقظة اليهودية»، كحل لهذه المسألة، التوسع على حساب الأردن: «فلسطين قادرة على استيعاب عدد كبير من اليهود، لا ننسى الضفة الشرقية، الأردن، التي بحكم طبيعتها وتاريخها هي فلسطين بنفس الدرجة كالأراضي الغربية، والمسماة حاليا بالوطن القومي، هناك يمكن أن يستقر شعب أكبر»(٢٩).

ولعل سكوت هذه الصحف عن اعطاء حدود مضبوطة وتعمدها عدم توضيح مساحة الدولة اليهودية له ما يفسره، خصوصاً اذا أخذنا بعين الاعتبار الطبيعة الاستعمارية التوسعية للصهيونية.

٢ ـ الحدود التاريخية «أرض المعاد»

حول حدود الأرض في الكتب السماوية، التوراة والانجيل، يقول الدكتور غليوم(٣٠) (Guillaume) أنه تمت الاشارة إليها بـ: «هذه الأرض» و «هذه الأرض» تبدأ من نابلس وتحتوي على كل الأراضي التي تمتد بين مصر والفرات. ويجب التأكيد على أن الوعد المتعلق بالأراضي التي تمتد بين النيل والفرات قد تم قبل ولادة اسماعيل واسحاق، ويعني ذلك أنها لم تكن مخصصة للاسرائيليين، وحدهم، دون الآخرين، ثم يضيف الدكتور غليوم أن هذه الأراضي «كانت دائما ملكا للعرب، باستثناء الفترة الصغيرة والمعترف بها، فترة حكم سليمان»(٣١).

٣ ـ حدود الدولة والمنظرين الصهاينة:

أ ـ عند الصهاينة الأوائل: أعرب الصهاينة الأوائل عن أهدافهم التوسعية في تعريفهم لحدود الدولة اليهودية التي ضمنوها في رسالة بعث بها أحد هؤلاء الصهاينة الأوائل إلى زملائه، سنة ١٧٩٧. وقد وردت مقتطفات من هذه الرسالة

في كتاب هايسون «ولادة شعب قديم»[٣٢]، وفيها يقول: «يحتوي التراب الذي سنحتله على مصر السفلى ومنطقة يحدها خط يمتد من سان جان دارك إلى البحر الميت، من جهة، ومن البحر الميت الى البحر الأحمر، من جهة أخرى. وسيمكننا هذا الموقع، بحصولنا على البحر الأحمر، من السيطرة على النشاط التجاري مع الهند وشبه الجزيرة العربية وافريقيا الجنوبية وافريقيا الشرقية وأثيوبيا، وسيسهل لنا قربنا من حلب ودمشق علاقاتنا التجارية مع فارس. وسنقيم، عبر البحر الأبيض المتوسط، علاقات تجارية مع فرنسا واسبانيا وايطاليا ومجموع بلدان أوروبا. وبحكم توسطه للعالم، يجب أن يكون بلدنا مركز الاشعاع التجاري لكل المنتوجات الثمينة على الكرة الأرضية»[٣٣].

ب ـ عند هرتزل: حدد هرتزل حدود الدولة اليهودية على النحو التالي: «تمتد من النيل إلى الفرات، ومن الضفة اليمنى للنيل إلى البحر الأحمر، وتضم الدلتا وكامل شبه جزيرة سيناء والمنطقة الواقعة بين الضفة الشرقية للبحر الأحمر والضفة الغربية لنهر الفرات والجانب الأكبر من العراق وكل التراب الأردني وسوريا. كل ذلك إلى جانب فلسطين طبعاً».

ت ـ عند وايزمان:[٣٤] لقد أظهر وايزمن عدم اكتراث بالحدود التاريخية لفلسطين، وكرس اهتمامه بالحدود المستقبلية للدولة اليهودية: «لا يهمنا الدفاع عن الحدود التاريخية، وانما نريد الحديث عن الحدود المستقبلية لفلسطين». «الحدود التي نريد اعطاءها لدولتنا ستكون الحدود التي ستمكننا قوتنا من الهيمنة العسكرية عليها، وميكيافيليتنا السياسية، واجراءاتنا العالمية من تحديدها على مر الزمان».

ث ـ عند جابوتنسكي: أما جابوتنسكي، قائد التصحيحيين الذين يمثلون تيار اليمين في الحركة الصهيونية، والذي يلقبه السيد عجاج نويهض في كتابه «بروتوكولات حكماء صهيون» بينبوع الارهاب اليهودي، فلقد نادى، مع رفاقه منذ مؤتمر هرتزل الأول ١٨٩٧ في بازل، بأن المملكة اليهودية يجب أن تؤلف في فلسطين كلها ومن شرق الأردن، ثم من النيل الى الفرات، والوصول الى ذلك عنده سيتم بالتجمع والاقتحام بالقوة المسلحة.

إذن، اتفقت الصحف، خصوصاً «الحلون» و «اليقظة اليهودية» مع المتطرفين الصهاينة في الطبيعة التوسعية للدولة اليهودية وذلك باتفاقهم أن الدولة اليهودية لن تكون في فلسطين ولا كامل تراب فلسطين فحسب بل ستمتد إلى الأراضي المجاورة لها، غير أنها اختلفت معهم في تعيين حدودها، فكل يعطي حدوداً حسب رغبته، مع أن حدود «أرض المعاد» واضحة.

ان الاستراتيجيا الصهيونية التوسعية واضحة. ففي أول الأمر، أي في المرحلة الأولية من مخططهم، أراد الصهاينة فلسطين لتكوين دولة يهودية، بادعاء الحق التاريخي عليها. وفي المرحلة الثانية ولتمكين الهجرة اليهودية الواسعة، تطاولوا على الأردن، ثم عند تكوين الكيان الصهيوني، تعللت حكومتهم بالتوسع الاستراتيجي، أي الدفاع عن أنفسهم وعن أمنهم.

والكل قناع لغاية واضحة، وهي الهيمنة الصهيونية والتوسع الاستعماري. وتشهد الحروب بذلك، ولعل أحسن مثال يترجم هذه الطبيعة التوسعية الجائرة للصهيونية هو التعريف الذي أعطاه وايزمن، أول رئيس للكيان الصهيوني، لحدود دولتهم والمتمثل في أن الحدود ليست مضبوطة وانما هي مرتبطة بقوة الدولة اليهودية، فكلما قويت امتدت حدودها. أليس هو ما تطبقه اسرائيل اليوم؟ أليس هو ما وقع في لبنان أخيرا؟

التحالف الاستراتيجي في الدعاية الصهيونية

١ـ من المقصود بالفلسطينيين؟

لقد استعملت صحيفتا «الحلون» و «الفجر» كلمة الفلسطينيين، وسنحاول تحديد معناها لدى هاتين الصحيفتين.

تحت اسم «البروليتاريا الفلسطينية»، تجمع «الحلون» بين العامل اليهودي والعامل العربي، فالكنفدرالية ستدافع عن البروليتاريا الفلسطينية، أي العامل اليهودي والعامل العربي، ولا نجد في هذه الصحيفة ذكراً لطرف آخر.

وبفلسطيني، تعني «الفجر» «الشعبين الساميين»، اليهود والعرب، ومن هنا، تبرز أن كلمة فلسطينيين، المراد بها العرب واليهود المتواجدين في فلسطين، أما عن العرب في البلدان المجاورة، فلم يقع ذكرهم، الا بالنسبة لعرب الأردن. فلقد قالت «الحلون» أن هؤلاء العرب، أي عرب الأردن، قد «انفتحوا تلقائيا للصهيونية، وهم يعولون عليها لانقاذ البلاد من الفقر»، أما «اليقظة اليهودية» فلقد ذكرت الأردن باعتباره تابعا لفلسطين، وهي ترى أن هذه المنطقة، أي الأردن، هي بطبيعتها ومن حيث تاريخها تابعة لفلسطين وجزء منها، وتدعو إلى امتداد الهجرة اليهودية إليها. هكذا اذا، فكلمة فلسطينيين، حسبما قدمتها الصحف المعتمدة في هذه الدراسة، باستثناء «اليقظة اليهودية»، وحسب المدلول الذي تعطيه لها، تعني العرب واليهود. غير أن هذه الصحف لم تذكر، أي طرف

دون هؤلاء، ولم تلمح إليه، ربما لأن العرب كانوا، من حيث العدد، أهم الفرق الموجودة بفلسطين، أو ربما كان ذلك بسبب صدور هذه الصحف في تونس.

٢ ـ علاقة اليهود بالعرب:

أ ـ حسب «**الفجر**»: ان العلاقة التي تعلنها «الفجر» والتي تتحدث عنها، هي علاقة تعاون بين اليهود والعرب، فالتعاون يحقق لليهود الوحدة القومية وللعرب الرقي الاجتماعي والنمو الاقتصادي الذي سيرفعهم الى مستوى البلدان المتقدمة، وبهذا التعاون سيعم الخير الشعبين الساميين. أتى ذكر هذه العبارات على اثر الاضطرابات التي شهدتها فلسطين: ورد الفعل العربي ضد تصاعد الهجرة. وفي هذه الظروف، بالذات، تتحدث الفجر عن التعاون فتمجد مزاياه، محاولة امتصاص الغضب العربي. وفي الوقت الذي يرفض فيه العرب هذا الغزو الصهيوني عن طريق الهجرة المكثفة، وهذا الاستعمار عن طريق شراء الأراضي العربية، تحاول الأيديولوجيا الصهيونية الظهور بمظهر اعانة العرب وتحقيق التطور والنمو الاقتصادي والازدهار لهم والحاقهم بركب الحضارة، فتقدم اليهودي كأخ للعربي وتذهب الى مدى أبعد من ذلك، تذهب الى القول أن العرب (الفلاح خصوصاً) يرحب باليهود والصهيونية، ولكن القادة العرب يمنعوهم من ذلك، إلا أنهم لا ينصاعون لقادتهم وينضمون لليهود، وتتوجه «الفجر» للعرب، خصوصاً الفلاحين، ذلك أنهم يمثلون تسعة أعشار العرب في فلسطين. هكذا اذن، تظهر «الفجر» للرأي العام أن العرب لم يرفضوا الغزو الصهيوني، وان الذين عارضوا هم أقلية، وهذه الأقلية هي، في صلبها، بعيدة عن الجماهير ولا تعدو أن تكون مجموعة «مغامرين»، وفي هذا السياق نفسه، تريد أن تبرز أن هذه الأحداث التي وقعت وهذه البادرة لم تكن تلقائية لدى العرب الثائرين عليها، وانما هؤلاء المتظاهرين قد استفزتهم قوى خارجية، وهي التي حرضتهم على القيام بمثل هذه المعارضة لليهود وللحركة الصهيونية، وهذه القوى الخارجية التي تلمح إليها «الفجر» هي بريطانيا أو أي دسيسة لا سامية، اي تسرب اللاسامية الهتلرية الى العرب في فلسطين وتحريضها لهم على مجابهة اليهود

ومواجهة استعمارهم والاعتراض على الهجرة. وضمن محاولة «الفجر» لاحباط هذه المبادرة العربية واخماد ثورة العرب على الغزو الصهيوني، حاولت هذه الصحيفة اظهار العرب بمظهر الانقسام وانعدام الوحدة والنظام بينهم، فهي تقدمهم كمنقسمين لتطعن في ارادتهم ولتجعل كلمتهم في موقع ضعف، ولتضعف من تأثير انتفاضتهم، هذه، على الرأي العام العالمي، حتى لا يهب في وجه الغزو الصهيوني، ولا يدين سياسة الهجرة. ومن جهة اخرى، تقدم «الفجر» العرب كشعب سفاح وتحمله مسؤولية اثارة الاضطرابات ورفض السلم.

وفي الواقع، فان هذه العلاقة هي علاقة استغلال، فاليهود لا يحملون الرقي الذي يزعمون، ولا يؤمنون بالتعاون بل بالاستغلال، استغلال بعض اليهود أصحاب الضيعات أو المصانع للعرب، خصوصاً في المناطق البعيدة عن المدينة وفي المناطق الريفية حيث يبحث هؤلاء عن اليد العاملة الزهيدة، يشغلون العرب بأجور ضئيلة ويستغلونهم. هذا هو الوجه الآخر والحقيقي للعلاقة بين العرب واليهود الذي تخفيه «الفجر» وتحاول اظهاره كعلاقة تعاون، فهل من الممكن تسمية هذه العلاقة الاستغلالية علاقة تعاون.؟

ب ـ **حسب «الحلون»**: من المبادىء التي تنادي بها «الحلون» هي أن اليهودي لا يجب أن يكون مزاحما للعربي ولا يجب أن يكون على علاقة عدائية معه. بل، على عكس ذلك، تحذر «الحلون» اليهودي من مغبة هذا الصنيع وتحرضه على بناء علاقة تعاون. كما ترشح «الحلون» نفسها للدفاع عن البروليتاريا الفلسطينية التي تعني بها اليهود وكذلك العرب. كما أن الهاشومير هاتسعير يضمّنون برنامجهم، الذي نشرته «الحلون»، بندا يتضمن عزمها على تطوير ظروف العامل العربي. ومن النوايا الحقيقية لهذا التيار ولهذه الادعاءات، كما تذكرها «الحلون» نفسها، هو أن العماليين الذين تتكلم الحلوز بلسانهم، لا يضعون أنفسهم كمزاحمين للعرب، وهم يعلمون أنه من المستحيل تحويل مستوى اليهود إلى مستوى العربي، فالعامل اليهودي الذي كان برجوازياً صغيرا، لن يقبل بالأجر المنخفض، ومن الخطر عليه أن يكتفي العامل العربي بهذا القدر، فلا يجب أن تتزاحم قوة العمل التي تباع في سوق الشغل حتى لا تفقد قيمتها. ومن صالح

العامل اليهودي أن يعمل العامل العربي على رفع مستوى عيشه وأجره، وذلك لتجنب الخلافات الاجتماعية التي تمنع العامل اليهودي الوافد على فلسطين من التنعم بالحياة وطيب العيش.

اذن، برغم ما تذكره «الحلون» عن عملها لتحسين ظروف الفلسطينيين وما تتضمنه من اعتناء بالعرب، فان هدفها مغاير لذلك. فبادعاء الدفاع عن العرب، تدافع «الحلون» عن اليهودي وتخدم مصالحه، وكل الأعمال لفائدة اليهود وحدهم. فهم الذين سيكونون الدولة اليهودية. وفي هذا المجال، أيضا، تكشف «الحلون» عن فكرها الاستعماري، فهي تحث كل الفلسطينيين على شراء المنتوج اليهودي.

حقيقة فلسطين في الدين والتاريخ

١ ـ لمن وهبت الأرض؟

انْ المعنى المتداول، الذي عمل الصهاينة على ترويجه وتعمدوا نشره بين الناس على مستوى الرأي العام العالمي، هو أن الوعد بالأرض (فلسطين) قد تم لليهود دون سائر البشر. غير أن التعليل اللغوي لما جاء في التوراة بخصوص هذا الشأن، والذي تضمنته الآية المعنية (١٥ـ١٣ـ٢٨)، وهي التي يرتكز عليها اليهود فيما يزعمون، يفيد أن ما يرويه الصهاينة خطأ، وان ادعاءهم هو ليس ما تقوله التوراة. فان كلمة «سلالتك»، في الآية التي تضمنت وعد ابراهيم بالأرض، تعني كذلك العرب، المسلمين والمسيحيين الذين ينحدرون من ابراهيم عن طريق أبناء اسماعيل. ولقد أكد غليوم (الذي سبق تقديمه)، من جهته، أن الوعد المقدس الذي خص به أبناء ابراهيم يشمل، حتما، سلالة اسماعيل، أي العرب(٣٥).

ويقول الدكتور ستايزر قار، في مقدمة كتاب ألنار بارقار، وعنوانه هو «الدولة اليهودية تأكيد لتنبؤات التوراة»، أن لا العهد القديم، ولا العهد الجديد، يؤيد زعم الصهاينة بأن وجود دولة يهودية معاصرة يجد تبريره في العهد الجديد. فان التنبؤات الانجيلية تطبق على الانسانية، جمعاء، ولا تقتصر على اليهود أو الصهاينة، لأن كلمة «نصر» و«خلاص»، في معناها الانجيلي الخالص، تشمل

الجانب الديني والروحي ولا تعنيان، البتة، الغاء عدو سياسي. ويضيف الدكتور ستايزر قار أنه بدون أن نتوقف عند كلمات العهد الجديد التي تهم المعنى الديني والروحي للوعود التي شملت بني اسرائيل، نلاحظ أن العهد الجديد، اذا ما اعتبر في معناه الصحيح، قد أعلن عن مملكة روحية للانسانية جمعاء، وقطعا لا «لاسرائيل سياسي» الذي يحتل أرض ووطن شعب آخر[٣٦].

وفي كتاب الفرد غليوم، «اسرائيل حسب النصوص المقدسة»، وفي الجزء «اسرائيل والانجيل»، ورد أنه مهما كان من وعود لاسرائيل، فان هذه الوعود قد انقرضت بسبب تهاون اليهود وخيانتهم. ويضيف غليوم أن التنبؤات تتعلق بالرجوع عندما دخل اليهود مملكة يهودا بعد فترة حبسهم ببابل وأقاموا حيطان القدس وأعادوا المعبد. ولا نجد في الكتاب المقدس وعدا آخر بالرجوع، أي لا نجد وعدا برجوع آخر لليهود. ثم ان النص المقدس لا يذكر اسرائيل - والمعني باسرائيل بني اسرائيل - كمجموعة سياسية، أو كمجموعة جغرافية، أو كملّة، بل يذكرها كمجموعة من المؤمنين. ويستنتج غليوم، في آخر حديثه هذا، أن الواضح أن الوعود الالهية لم تتحقق لأن الصهاينة أقحموا عليها شعورا قوميا خارجا عن كل تصور لمفهوم ديني.

هكذا، انكشف زيف «الحق الدين» الذي ادعاه الصهاينة، والذي بنت عليه الصحف الثلاث، «الحلون» و «الفجر» و «اليقظة اليهودية» حقهم في الرجوع وفي بناء دولة، والذي بحثت فيه عن تبرير لعملهم الاستعماري. غير أن هذا التبرير فاشل لأن الدين والكتب السماوية لم تمنح اليهود حقا استثنائيا على فلسطين. وعلى هذا الحق الديني المزعوم، بنت هذه الصحف «الحق التاريخي» لليهود في بناء دولة في فلسطين.

٢ - اليهود والتاريخ:

ورد في كتاب رجاء غارودي «القضية اسرائيل» أن الهلال الخصيب، الذي يمتد من النيل الى الفرات، كان مكان تعاقب الأجيال والفئات البشرية وتعاقبها. ويبين غارودي أنه عندما حل جماعة من الرحل من منطقة ما بين

النهـرين والأردن، بأرض كنعان في الألفية الثانية في العهد البرونزي القديم، وجـدوا فيهـا شعبـا عريقـا، خصـوصاً الكنعانيين الذين لهم حضارة مدنية، وسيعرفون في نهاية هذا العقد الكتابة. وكان ضمن هؤلاء الرحل العبريون، ومنهم من استقر بكنعان، ومنهم من تابع طريقه الى مصر. ولقد أخذ هؤلاء الرحل، ومن بينهم العبـريون، عن الكنعانيين لغتهم وكتابتهم وديانتهم، ثم رحلوا الى مصر بمجيء الهكسـوس، وفي مصر، اعتبر العبريون كهامشيين وكعارضين، وعرفوا بعبـيرو، ومنهـا تنحدر كلمة عبريين ،ثم فروا من مصر. ولا نجد خارج التوراة نصوصا تتناول الحكام العبريين ولا فترة اقامتهم في مصر ولا هـجرتهم ولا حتى احتلال كنعان. ومن هنا، يؤكد غارودي أن مسألة «الوعد بالأرض»، فلسطين، لليهـود، لا توجـد إلا في النصـوص التي صنعها أصحاب المنفعة والفائدة في ادعائها. المصدر الوحيد الذي يذكر بني اسرائيل خارج التوراة، يتمثل في حجر، كتب عليـه، حوالي سنة ١٢٥٢ ق.م.، تمجيد لانتصارات فرعون وذكر فيه ان فرعون باستحوازه على المدن الفلسطينية، حطم بني اسرائيل، لقد أتلفوا ولم يعد هناك وجود لعرقهم. ومن هنا، يستخلص غارودي أنه من المستحيل اسناد «الحق التاريخي» لبني اسرائيل، ولا يمكن أن يكونوا أصحاب الأرض الأوائل، ذلك أنه عندما أتت القبائل إلى فلسطين وجدت فيها الكنعانيين والحطيين والمؤابيين. وفي الوقت نفسه، أتى الفلسطينيون من بحر ايجه واستقروا بين الكرمل والصحراء، وينحدر الفلسطينيون من الكنعانيين الذين يعيشون بهذه الأرض منذ خمسة آلاف سنة [٣٧] ولقد أعطى الفلسطينيون اسمهم للأرض ـ فلسطين، ومن الفرس، واليونانيين والرومانيين والأتراك والعرب الذين تعاقبوا على الاستقرار في الأرض والحكم فيها بعد البابليين والحطيين والمصريين. هكذا إذن، يبين السيد غارودي أن أصحاب الأرض الأوائل هم الفلسطينيون الذين يسكنون البلاد منذ فجر التاريخ. ويرى أن العبريين، عندما أتوا من مصر، في القرن الثالث عشر قبل هذا العهد، واستقروا بفلسطين عن طريق التسرب أو الغزو، كانوا كغيرهم من الغزاة البابليين والمصريين والفرس.

ويقـول غارودي أننـا «لا نستـطيـع الكلام عن شعب اسرائيل الا بعد

استقرار اليهود بكنعان، حوالي القرن الثالث عشر، وكانت مؤلفة من اتحاد قبائل وعروش. وفي سنتي ٧٠ و ١٣٢، من عهدنا، وتم تشريد اليهود على كامل ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهكذا، انتهى وجود الطائفة اليهودية بفلسطين. ولم يعد اليهود الى فلسطين الا من جراء الاضطهاد وليس بدافع «الحنين الى وطن الأجداد»(٣٨). في القرن الخامس عشر، لم يرغب يهود اسبانيا في الهجرة بعد تعايشهم مع العرب طيلة ثماني قرون، لكنهم فروا من محاكم التفتيش ومن الملوك الكاثوليكيون، ونسبة ضئيلة، فقط، منهم هاجرت الى فلسطين، والتجأ القسم الأكبر منهم الى فرنسا وهولندا وايطاليا ومصر وقبرص والبلقان. وفي سنة ١٨٤٥، لم يكن هنالك في فلسطين الا ١٢٠٠٠ يهودي بين ٣٥٠٠٠٠ ساكن، وفي سنة ١٨٨٠، كان هنالك ٢٥٠٠٠ يهودي بين ٥٠٠٠٠٠ ساكن.

اذن، يشكل العبريون أحد مكونات هذا الشعب الخليط في الهلال الخصيب، وهم بعيدون عن أن يكونوا أصحاب الأرض الأوائل، ولا يمكنهم، بأية حال، المطالبة بمكانة استثنائية في هذا التاريخ العريق. غير أن أيديولوجية الصهيونية السياسية لا تذكر من تاريخ فلسطين الا الفترات القلائل التي لعب العبريون فيها دورا هاما وهي:

- غزو كنعان من طرف القبائل، في عهد يهوذا، في القرن الثالث قبل عهدنا.
- الثلاث وسبعون سنة لحكم داود وسليمان.
- النفي من بابل والرجوع اليها.
- انتفاضات ٦٣ و ١٣٥ ضد الرومان.

أما باقي التاريخ، فلقد امحى كما لو أن شيئا لم يقع على هذه الأرض منذ الألفية الثالثة الى وصول العبريين، منذ انتفاضة Bar Koshba التي تلاشى على أثرها اليهود من ١٣٥ من عهدنا، حتى تأسيس الدولة الاسرائيلية سنة ١٩٤٨(٣٩).

ولقد قام حسين التريكي، في كتابه «هذه فلسطين»، باحصاء لفترات الحكم اليهودي في فلسطين فلم تتعد، ٤٠١ سنة من ٤٠٠٠ سنة. ويؤكد أن أرض فلسطين هي أرض العرب، ولم يحل عليها اليهود الا بعد ٤٦٠٠ سنة من تواجد

العرب فيها، ويضيف أن اليهود لم يكونوا فيها دولة، بالمعنى الصحيح للكلمة، الا في فترة حكم داوود. كما أن التاريخ لم يسجل، في أي وقت، تخلي السكان العرب عن أرضهم خلال فترات الحروب التي كانت أرضهم مسرحا لها.

هذه هي، اذن، الميثولوجيا المبيدة لشعب فلسطين وللسلام في العالم التي ينشرها اليهود عبر الدعاية، وهي تصنع للصهيونية السياسية مطالبتها بالاستعمار والارهاب.

هذه أسطورة الحق التاريخي واليها أضاف الصهاينة أسطورة الصحراء التي تحول فلسطين إلى صحراء «أرض بدون شعب لشعب بدون أرض». وإليها أضافوا، أيضا، أسطورة العرق اليهودي المختار الذي سيسود العالم.

ان كل الحقائق التاريخية، تنفي «الحق التاريخي» المزعوم لليهود على فلسطين. فرغم تعمدهم السكوت عن بعض الأحداث، ورغم محاولة تطويع رواية التاريخ لارادتهم ومحاولة تكييفه مع ايديولوجيتهم الصهيونية، ينكشف للباحث دون عناء أن كل ما قدمه اليهود من ادعاء الحق التاريخي على أرض فلسطين لا يعدو أن يكون ادعاء باطلا لا أساس له من الصحة. إذن فان اهتمام الصحف الثلاث «الحلون» و «الفجر» و «اليقظة اليهودية»، بهذا «الحق التاريخي»، وتعللها به، تعلل، خاطىء، لأنه قائم على قاعدة كاذبة وواهنة.

٣ ـ فلسطين ليست أرضا يهودية:

النقطة الأخرى التي لها أهمية بالغة لدى الصهاينة، والتي تمثل أحد الأسس الهامة لاستراتيجيتهم، هي فكرة القومية اليهودية والأرض القومية. وهي الفكرة التي كثيرا ما رددتها الصحف الثلاث ونوهت بها، لهدف بناء الشعب اليهودي ووجوده في فلسطين. ولقد أبرز الباحثون أن هذه الفكرة لا مكان لها من الصحة، وأنها فكرة صنعها اليهود الصهاينة ليبرروا استيلاءهم على الأرض.

ان الحقائق التاريخية أفرزت أن اليهود لم يكونوا قط في فلسطين أمة بمعناها العلمي، أي المعنى الذي يعطيه علماء الاجتماع الذين يعرّفون الأمة كمجموعة سكان متواجدين على أرض واحدة ومرتبطين بفضل وحدة الأصل

واللغة والتقاليد والعادات. ويبين حسن التريكي، في كتابه «هذه فلسطين»، عدم توفر عامل اللغة والأصل، فلم يكن لليهود أصل واحد، ولم يكونوا أمة في فلسطين. ثم ان فلسطين لم تكن، في أي وقت من التاريخ، وطنا قوميا يهوديا. إذن، لم ينفرد اليهود بالتواجد على هذه الأرض في أي فترة من التاريخ.

استنتاجات

ينقسم تصــور الدولة اليهــوديــة، حسب ثلاث صحف هي «الحلون» و «الفجر» و «اليقظة اليهودية» الناطقة باسم تيارات ثلاثة في الحركة الصهيونية سنــة ١٩٣٣ وهي اليســار واليمين والوسط، الى ثلاثة أنواع: دولة ذات نظام رأسمالي تكون فيه الدولة الحكم بين الأطراف: ودولة ليبرالية؛ ودولة عمالية تعتمد رأسمالية الدولة.

يتمثـل تصور اليسار لهذه الدولة، على لسان «الحلون»، في تكوين دولة يهودية تعتمد على رأس المال القومي لبناء الاقتصاد، وبالتالي لانشاء المشاريع التي ستكـون للدولة السيطرة عليها. كما أن هذا اليسار يتصور دولة عمالية تدافع عن البروليتاريا عن طريق جهاز هو الكنفدرالية، كنفدرالية العمال، التي تدافــع عن أجـور العمال وتضمن ارتفاعها كما تبلور هذه الصحيفة برنامجا سياسيا للدولة وتخطيطا اقتصاديا قائما على مجهود رأس المال القومي. وتجد هذه السياسة الاقتصادية مبلورة في الدور الذي سيلعبه الصندوق القومي في تنظيم الاقتصاد.

أما تصور الوسط للدولة اليهودي، الوارد في صحيفة «الفجر»، فهو بناء دولة في ظل نظام رأسمالي. على أن «الفجر» لم تبلور ولم توضح تصورا واضحا لهذا النظام، ولم تبرز طبيعة الدولة وسياستها، بصفة واضحة. وانما اكتفت

بتبيين تصورها لبناء الدولة على المذهب اليهودي، كما أظهرت تصورها لبناء دولة ليبرالية، بدفاعها المتكرر عن الحريات. ويقوم تصور «الفجر» لسياسة اقتصادية للدولة اليهودية في الاعتماد على رأس المال الخاص، وهو رأس مال المهاجرين اليهود.

أما تصور اليمين الصهيوني الذي تنطق بلسانه في تونس صحيفة «اليقظة اليهودية»، فيعتمد، هو الآخر، على رأس المال الخاص، لا يعترف بمبدأ الصراع الطبقي والصحيفة تدافع عن البرجوازية، وتساعد رأس المال الاستعماري، وتعمل على توفير الظروف الملائمة لنموه. لقد تميزت الصحيفة بالاعتناء بسياسة الدفاع. مع العلم بأن جابوتنسكي هو الذي أسس «الهاجانا» أو الجيش الاسرائيلي.

بعد الاستعراض المدقق لطبيعة الدولة اليهودية، حسبما تصوره الصحف الثلاث، وبعد مقارنة هذه التصورات الثلاثة على جميع المستويات، تبين لنا أنه، رغم بعض الاختلافات الجزئية التي يمكن أن نسميها اختلافات استراتيجية، فان هذه الصحف، وبالتالي هذه التيارات، أي اليسار والوسط واليمين، لا تختلف في الغاية والهدف، فالغاية، اذن عند «الحلون» و «الفجر» و «اليقظة اليهودية» واحدة، وهي تكوين دولة صهيونية وفرض الهيمنة الصهيونية.

ورغم محاولة تقنيع الصهيونية والتذرع بالدين والتاريخ والتظاهر بالقيم السامية، فقد كشفت هذه الصحف عن طابع الصهيونية الجائر التوسعي، الاستعماري، المتسلط، اللاانساني، لقدهوت كل ذرائعهم وتعليلاتهم والأقنعة التي خلعوها على حركتهم فغالطوا بها الرأي العام العالمي واغتصبوا وطنا كان آمنا، لا يملكون عليه أي حق استثنائي، كما يزعمون.

الفصل الخامس

وسائل انجاز الدولة اليهودية

وسائل الانجاز الداخلية

التحليل الكمي: يتمثل التحليل الكمي لوسائل انجاز الدولة في تحديد جدول لأهم الطرق والوسائل الواردة في الصحف، ولقد عمدنا الى تعداد تواترها وتكرارها، بالاعتماد على وحدة الكلمة أو الجملة لنبيّن أيها المعتمدة أكثر من غيرها ولنرى مدى مطابقتها لطبيعة الدولة.

جدول التحليل الكمي لوسائل الانجاز الداخلية

الاصناف		الوحدة التحريرية الجملة او الكلمة	صحيفة		
			الحلوز	الفجر	اليقظة
المستوى السياسي	الهجرة والاستيطان		٧	٢٧	١٢
	الاتحاد والتضامن		١٠	١٦	١٢
	العمل النقابي		٣	-	١
	استعمال القوة		-	-	١٥
	المقاطعة		-	-	٣٠
	مواجهة هتلر				
	غيرها		١	٣	-

المستوى الاقتصادي	السيطرة على الاقتصاد القومي هجرة رأس المال الخاصة		٥ ١٢ -	١ - ١	١ - ٢

المستوى السياسي

ا ـ الهجرة والاستيطان:

تعلن «الحلون» أن واجبها الأول هو جلب أكبر عدد ممكن من اليهود وتوطينهم في فلسطين، وتقول «أن الاستيطان هو هدف سفر اليهود التاريخي المضني». وفعلا، تشكل الهجرة، بالنسبة «للحلون»، نقطة هامة على المستوى السياسي، اذ تواتر ذكرها ٧ مرات في مجموع الافتتاحيات المعتمدة. ويدخل التأكيد على الهجرة، كعامل لبناء الدولة اليهودية، في اطار السياسة الاستيطانية التي نفذتها الصهيونية، ولا تزال، في فلسطين وهو العماد الذي قامت عليه السياسة الصهيونية لاستعمار فلسطين والتسلط على أراضيها. كما أن تشجيع الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيّها واعتبارها الواجب الأول تكرس فكرة «الأغلبية لليهود في فلسطين» وهي جوهر السياسة الاستعمارية، التي بثتها صحيفة «الحلون» وعملت على انجازها.

غير أن «الحلون» رغم تحمسها للهجرة، لا تشجع الهجرة العشوائية، فلا ترغب في وجود اليهود في فلسطين بطريقة غير منظمة، وانما ترى أنه يجب تنظيم البلاد لاستيعاب هذه الهجرة، كما يجب تهيئتها لقبول هؤلاء اليهود، ولا يكفي تهجيرهم ولا ينبغي الاكتفاء بحثهم على الرحيل وترغيبهم في الاستيطان بل ينبغي تنظيم حياتهم وايجاد الظروف الملائمة لاقامتهم، حتى يضمن مستوى عيش

محترم للعامل اليهودي وحتى لا يكون مستغلا أكثر مما كان في أوروبا. اذ لا يجب أن يتعرض اليهود، في فلسطين، للظلم الذي عانوه في البلدان الأخرى، كما ينبغي تخليصهم من الفقر الذي كانوا فيه. لذلك يجب أن لا يتعرض اليهود للبطالة. وبصفة عامة، ترى «الحلون» أنه يجب خلق مجتمع جديد في فلسطين، حتى تنجح الهجرة وتكون صالحة لليهود والبلاد، وحتى تخدم وتحقق الصهيونية في فلسطين. من أجل كل هذا، تدعو صحيفة «الحلون» الى تحضير الهجرة وتلقي هذه المهمة على عاتق اليهود أنفسهم.

وترى «الحلون» أن هذه الهجرة ستتم بضغط اليهود على الحكومة البريطانية، ويتم ذلك بتقديم «لائحة وراء لائحة، ومعارضة تكون معارضة للقنصلية الانكليزية: سهل لهم السفر والدخول؛ اتركهم، يرجعون إلى وطنهم».

وأكدت صحيفة «الفجر» تأكيدا بالغا على الهجرة كوسيلة لانجاز الدولة اليهودية؛ ولقد تواتر ذكرها ٢٧ مرة في مجموع الافتتاحيات المعتمدة، ومبدؤها في ذلك: «الهجرة اليهودية الكبرى لبناء الوطن القومي». واقتصرت الفجر على ذكر وتشجيع الهجرة اليهودية كعامل فعال وأساسي لانجاز الدولة، دون أن تبين كيف ستتم هذه الهجرة ولا كيف ستنجز على أرض فلسطين، بل تحدثت عنها في المطلق، «الهجرة»، و«وجود اليهود في بلاد أجدادهم».

وتعتمد صحيفة «اليقظة اليهودية» على الهجرة الكبرى ما بين، ٦ و ٧ ملايين يهودي، لانجاز الدولة اليهودية؛ وتقول: «فلسطين، ضفتا الأردن، مخصصة لكي تكون دولة يهودية، والطريق الذي يؤدي إليها هو الهجرة المكثفة لليهود». ان ما كانت تريده هذه الصحيفة، اذن، هو الهجرة المكثفة وفي أسرع وقت ممكن، لذلك كانت تعارض، بشدة، بريطانيا كلما أرادت الحد من الهجرة ومحاولة تقييدها بشروط على أساس أن فلسطين لم تعد قادرة على استيعاب اليهود، مدعية أن فلسطين في حاجة الى اليهود واليد العاملة، وتذهب الصحيفة الى حد تقديم دراسات والادلاء باحصائيات للتدليل على ذلك.

ان خطة «اليقظة اليهودية»، فيما يتعلق بالهجرة، تقوم على تشجيعها باعتبار أن المهاجرين الذين يجلبون معهم رؤوس أموالهم، يهيئون مواطن شغل

لقادمين، أي أن هجرة رأس المال واليهود تتم في الوقت نفسه، وبصفة يمكن أن ننعتها بفوضوية أو عشوائية، وهو على عكس ما تراه صحيفة «الحلون» التي تعمل على تهجير رأس المال، وذلك عبر المشاركة في رأس المال القومي المتجمع في الصندوق القومي (K.K.L.) بفلسطين. ثم تقوم المنظمة، عن طريق رأس المال القومي هذا، بتهيئة الأرضية الملائمة لاقامة حياة تنعتها بكريمة لليهود. ثم يفد اليهود المهاجرون فيجدون الظروف ملائمة لبدء حياة جديدة في فلسطين. وبهذه الطريقة، ترى «الحلون» أنها ستجنب اليهود العيش في بيئة كالتي غادروها. كما تقول هذه الصحيفة ان انعدام التحضير المسبق يعرض اليهود للبطالة والفقر من جديد، ويؤدي ذلك إلى مغادرتهم فلسطين، وهي مضار سياسة الهجرة الواسعة التي تعتمدها صحيفة «اليقظة اليهودية».

وترى صحيفة «اليقظة اليهودية» أن هذه الهجرة تتم بالتوجه الى انكلترا ومطالبتها بفتح فلسطين لليهود، أي رفع التضييقات التي فرضتها على دخول اليهود اليها.

- ضغط يهود العالم على حكومات البلدان المتواجدين فيها حتى يسهلوا لهم الهجرة.

- تحويل الاشراف على الهجرة اليهودية الى المنظمات الصهيونية، عوضا عن الوكالة اليهودية التي هي مؤسسة قانونية خاضعة للحكومة الانكليزية.

٢ - اتحاد اليهود:

ومن جهة أخرى، تدعو «الحلون» اليهود الى الاتحاد والالتحام حتى يحققوا الوحدة اليهودية القومية، والوحدة والتضامن سيحققان لليهود دولتهم. وبفكرة القومية اليهودية، ترمي «الحلون» الى لم الشتات اليهودي Diaspora لتجعل من اليهود شعبا يمكنه المطالبة بدولة والعمل على بنائها. وفكرة الوحدة والتضامن اليهودي هامة بالنسبة «للحلون» لأهمية عنصر الشعب في الدولة، فهي تمثل ركيزة من الركائز التي تقوم عليها الدولة.

وترى «الحلون» طريقتين لتحقيق هذه الوحدة بين اليهود:

أ ـ وحدة عبر الهستدروت، وتدعو «الحلون» اليهود الى الانخراط في هذه المنظمة العمالية، فهي التي ستحقق الوحدة والالتحام بين اليهود، وتقول: «الهستدروت تحضر أمة يسودها التعاون والتضامن الحقيقي في وحدة تنتج السعادة»(٤٠).

ب ـ الانخراط في الصندوق القومي والمساهمة في رأس المال القومي وتضخيمه عبر الهبات والتبرعات والشيقل «وجهة واحدة: تضخيم رأس المال القومي».

تعتمد «الفجر» عاملا تعتبره هاما وفعالا في بناء الدولة اليهودية، وهو عامل الوحدة اليهودية والتضامن بين بني اسرائيل. ولقد تواتر ذكر هذا العامل ١٦ مرة. ويشكل الدين العنصر الفعال والأساسي في تكوين هذه الوحدة. وفي الدين، تركز صحيفة «الفجر» خصوصاً، على الطقوس الدينية اليهودية، فهي التي تحقق الوحدة بين اليهود، وتقول: «بنو اسرائيل وحدة لا تنفصم، خصوصاً، بفضل طقوسهم»(٤١). واذن، فخلافاً لصحيفة «الحلون» التي ترى أن تحقيق الوحدة اليهودية يتم عبر الهستدروت والصندوق القومي، ترى «الفجر» أنها تتحقق عبر الطقوس الدينية. فلا تبدي «الفجر» اكتراثا بالعمل النقابي، حسب الافتتاحيات التي تناولتها هذه الدراسة.

كما تشجع «اليقظة اليهودية» الوحدة بين اليهود، لأنها تكرس الفكرة القومية التي ستصنع، حسب قولها، الدولة اليهودية، وتلتقي الصحيفة في هذه الناحية، مع كل من «الحلون» و «الفجر».

وتقدم «اليقظة اليهودية» شكلا تراه كفيلا بتحقيق الوحدة بين اليهود، وهو توقيع يهود العالم على لائحة عالمية يطالبون فيها بالدولة اليهودية. وبذلك، تريد «اليقظة اليهودية» تأثير هذا الصوت اليهودي الموحد عبر اللائحة على الحكومات والمنظمات العالمية، لتضمن مساندتها لها في بناء الدولة اليهودية في فلسطين. وبهذا تكرس الصحيفة الوحدة على مستوى التحرك الذي يعطي النتيجة المنشودة، وهي الدولة الاسرائيلية، وتقول: «نحن شعب ويجب أن نتحرك كشعب».

٣ ـ العمل النقابي:

ولغـرض تنمية البلاد وانجاز الدولة والدفاع عن العامل، تركز صحيفة «الحلون» على العمل النقابي كجهاز أساسي في عملها ودولتها. ويتمثل هذا العمل النقـابي في اقـامـة كنفـدرالية للعمال وهي ما تسميها بلغتها «الهستدروت» أو «قـويم» وهي منـظمـة تدافع عن العمال وتضمن ارتفاع أجورهم وتحسين مستوى عيشهم، كما تقدمها «الحلون»، كما أنها ستحمي العمال من المزاحمة التي تولد البطالة والفقر وستكرس وحدة اليهود وستمكنهم من تكوين أمة جديدة تمثل الأمة اليهودية وتبني الدولة اليهودية.

هكذا، تبرز «الحلون» العمل النقابي عبر الهستدروت كعامل أساسي تقوم عليـه سيـاستها، فهو يحقق لها مأربين أساسيين، هما تحضير الهجرة ودعم الوحدة اليهودية.

ويتمثل العمل النقابي، الذي تدعو إليه «اليقظة اليهودية»، والذي تعتمد عليه في بناء الدولة، في اقامة منظمة عمالية تساهم في ارساء قواعد دولتها الرأسمالية.

مواجهة هتلر:

خصصت صحيفة «اليقظة اليهودية» جل افتتاحياتها المعتمدة في هذا البحث، للتـأكيد على مقاطعة المنتوجات الألمانية. وبممارسة المقاطعة للمنتوج الألمـاني، ترمي هذه الصحيفـة إلى الإضرار بالاقتصاد الألماني، نظراً لأهمية التجـارة بالنسبـة لألمانيا ولارتكاز اقتصادها عليها، حسب تقديرات «اليقظة اليهودية»، ثم تضع هذه الصحيفة، كوسيلة أخرى لمواجهة هتلر، وهي ما تسميه الدفاع عن النفس، وهو ليس الا استعمال القوة والعنف. ولقد قامت «اليقظة اليهودية» بهجمة صحافية عنيفة محرضة اليهود على المقاطعة.

وتعرضت «الحلون» لهذا الموضوع في مناسبة واحدة[٤٢]، أي في افتتاحية واحدة، لتبين اعتراضها على سياسة مقاطعة هتلر، لأنها تعتبر هذا الموقف دفاعيا

بحتا وبالتالي سلبياً، وتعرب عن موقفها من هذه القضية، وهو تشجيع سياسة الهجرة وتنظيمها.

أما «الفجر» فهي تبرز موقفا من اللاسامية والنازية لكنها لا تبرز موقفا من المقاطعة؛ ويتمثل موقفها في أنه يجب على اليهود أن يصمدوا أمام الصعوبات وأن لا يتجاهلوها، وأن «اسرائيل»[٤٣] الحديث المتأجج بروح الحرية والقوي بحقه لم يعد يرغب في الانصياع السلبي. غير أن «الفجر» لا تبين ما هو هذا الموقف بوضوح ولا تفصل الحديث عنه.

٥ ـ الصهيونية متواطئة مع النازية:

غير أن كل ما نشرته الصحف وما أظهرته من عداء لهتلر ومن مقاومة له قد يكون مجرد تمثيل وادعاء زائف. ذلك أن بعض الدراسات أثبتت وجود تواطؤ للصهيونية مع هتلر. ولقد فضح السيد كلاوتس بولييكن، وهو باحث ألماني، وجود علاقة بين النازية والصهيونية، وكشف، بجلاء، التآمر الصهيوني النازي على يهود ألمانيا، خصوصاً، ويهود أوروبا والعالم عامة، بقدر ما كشف عن حقيقة التعاون النازي الصهيوني، من أجل توفير المزيد من الشروط لوضع المشروع الصهيوني الاستعماري.

ان اضطهادات اليهود أعمال باركتها الهيئات الصهيونية وعملت على تغذيتها وتصعيدها، لأنها رأت فيها العامل الأساسي الذي يمكن له أن يجر مئات الآلاف من اليهود ويحملهم على الهجرة الى فلسطين والعمل في اطار المشروع الصهيوني الاستعماري.

ومن بين الوثائق التي تفضح التواطؤ النازي الصهيوني كتاب وضعه يهودي هو ربي موشيه شوتفيلد، يؤكد أن نقمة هتلر على اليهود كانت نتيجة الاستفزاز المتعمد من الصهاينة لتنفيذ هدفهم الأصلي لانشاء الدولة بجلب اليهود الى فلسطين ودفعهم، عن طريق الارهاب والاضطهاد، الى الهروب واللجوء إلى أرض الميعاد. فقد كان صهاينة امريكا الذين يعيشون في أمان يصعدون، بسخريتهم وتهجماتهم نقمة هتلر على اليهود. ويؤكد الكاتب، في مقدمة كتابه

وجود وثائق في أرشيف بعض العائلات في لندن وزوريخ، تكشف عن هذا التواطؤ الصـارخ بين التوأمين النازية والصهيونية «ان قيادة الحزب النازي سمحت بمختلف أنواع النشاط السياسي الصهيوني، في وقت لم تسمح فيه لأحد، سواها، بالنشاط. كما أن الصهاينة كانوا يتمتعون بحرية النشر بالنسبة للكتب والمؤلفات. فالصهاينة، اذن، لم يساعدوا اليهود المضطهدين، بل أعاقوا كل مساعدات مالية أو غيرها. واضطهاد اليهود على يد النازية كان زيا مناسبا لاطارات دولة صهيونية(٤٤).

أما عما يمكن أن يقدمه هذا البحث من تأييد ودعم لهذه الفكرة الواردة لدى منتقدي الصهيونية، والتي عرضها الكتاب المتقدم ذكره، فهو ما نشرته صحيفة «اليقظة اليهودية»، في افتتاحيتها ليوم ٣ نيسان (ابريل) ١٩٣٣، المتمثل في الرد على اتهام وجهته صحيفة «الحلون» لمجموعة من أصحاب البنوك اليهود في ألمانيا، اتهمتهم فيه بالتواطؤ مع هتلر والتعامل معه، غير أن صحيفة «اليقظة اليهودية» دافعت عنهم وحاولت نفي هذا الاتهام. وفي هذا الخبر، ما يمكن أن يؤكد على وجود تواطؤ بين الصهاينة والنازية بالفعل.

المستوى الاقتصادي

١ - السيطرة على الاقتصاد:

بعد أن أكدت أن البلاد فقيرة واقتصادها متدهور، وتحدثت عن ضرورة الاتيان بالتحضر والازدهار، غزت الصهيونية كل أوجه النشاط الاقتصادي وكل مجالات الانتاج، فاستولت عليها: استولت على الفلاحة بشراء الأراضي والضيعات، واستحوذت على الانتاج الفلاحي. كما تزعمت ميدان الصناعة بما أرسته من مؤسسات جديدة. لقد أرست الصهيونية نشاطا اقتصاديا جديدا وعمدت الى «خلق حياة جديدة» وتحكم اليهود في هذا الاقتصاد الجديد وعملوا على تطوير ما أسموه بالمنتوج القومي وتطوير الصناعة والفلاحة والتجارة.

ومما يبرهن على تسلط الصهاينة ورغبة «الحلون» وعملها على تكريس هذه السيطرة على النشاط الاقتصادي في فلسطين تأكيدها على أنه «يجب على السكان الفلسطينيين شراء المنتوجات اليهودية». فهي، بذلك، تعرب عن عزمها، وتبين خطتها، في السيطرة الصهيونية على الاقتصاد. فهي لم تكتف باستغلال الثروات الطبيعية للبلاد لفائدة اليهود، بل زادت على ذلك أن أجبرت سكان البلاد، وهي ترمز إلى العرب، على شراء المنتوج اليهودي، أي أنها صادرت منهم هذا النشاط وفرضت عليهم انتاجها، حتى تثري خزينتها على حسابهم، وحتى تسيطر ويقوى نفوذها في المنطقة. وهذه طبيعة استعمارية صرفة.

ويبـرز تسليط «الفجر» الأضواء على اقتصاد البلاد في تعبيرها عن أن «الهجرة عامل حاسم في اعادة بناء اقتصاد البلاد»، أي أن اليهود يسعون الى ايجاد اقتصاد خاضع لسيطرتهم، يمكنهم من مد نفوذهم على المنطقة يستجيب لسياستهم ويلبي رغباتهم ويحقق مآربهم في فلسطين.

ويشكل رأس المال الخاص للمهاجرين العنصر الوحيد الفعال في عملية اعادة بناء الاقتصاد.

وتتفق «اليقظة اليهودية» مع «الفجر» على المستوى الاقتصادي، اذ ترى الأولى أن المهـاجـرين اليهود الوافدين على فلسطين سيسيطرون على النشاط الاقتصـــادي برؤوس أمــوالهم، وسيرسون صناعات جديدة، وسوف تتم هذه السيطرة على هذا النشاط عن طريق رأس المال الخاص اليهودي. ولذلك تعمل «اليقظة اليهودية» وكذلك «الفجر» على تشجيع الهجرة، هجرة اليهود ورؤوس أموالهم التي ستبني الاقتصاد الرأسمالي للدولة اليهودية.

وسنــة ١٩٤٢، والحـرب العـالمية الثانية على أشدها، تحدث أحد قادة الوكالة اليهودية، في مؤتمر صحافي في تل أبيب فقال: «في فلسطين، اليوم، ١٨٠٠ صناعة دائرة الدواليب، والمال الموظف في هذه الصناعات ١٤ مليون جنيه، ينتج كل سنة من السلع ما قيمته مثل قيمة هذا المبلغ. والصناعات اليهودية تعيل ٤٥ ألف نفس من يهود فلسطين، ومن الممكن أن يضاعف عدد الصناعات في مدى خمس سنـوات مقبلة، بحيث تصبـح فلسطين أقوى مركز صناعي في الشرق الأوسط. وقسم كبير من رأس المال القومي موظف في مشروع البحر الميت وشركة الكهرباء الفلسطينية. وبوسعنا تنمية عدة مشروعات أخرى كبيرة اذا استطعنا أن نضع في فلسطين المواد الأولية اللازمة لمشروع البحر الميت، وان كلا من تركيا ومصر تنمي صناعاتها الكبيرة، فاذا شاءت فلسطين منافستهما فعليها أن تزيد عنايتها بالصناعات، وبهذه الصناعات نستطيع اعداد الأسباب لقبول المزيد من المهاجرين، لا بمئات الألوف بل بالملايين»(٤٥).

٢ ـ هجرة رأس المال:

يشكل رأس المال القومي العمود الفقري لكل سياسة «الحلوزن»، اذ تقوم عليه كل أفكارها ومخططاتها، فرأس المال القومي هو العنصر الفعال في الهجرة، وهو مؤشر الوحدة اليهودية، ويمثل الشيقل، بالنسبة لليهود المتفرقين، المؤشر الوحيد للالتحام، كما يمثل الوحدة القومية. فتشكل المشاركة في بناء وتضخيم رأس المال، بالنسبة «للحلوزن»، الطريقة المثلى لبناء الدولة اليهودية.

والصندوق القومي كما تقدمه «الحلوزن» هو منظمة قومية يوجد مقرها في فلسطين، ولها فروع في بلدان أخرى، ففي تونس، مثلا، يتوجه اليهود بتبرعاتهم الى الصندوق القومي، الفرع المحلي، وكذلك يفعل غيرهم من اليهود في بلدان أخرى، ثم تجمع كل الهبات والمشاركات في رأس المال القومي، هذا الذي سيرسي قواعد الدولة اليهودية. ورأس المال القومي هو الذي سيهيء البلاد وينظم الهجرة ويبني النشاط الاقتصادي ويحقق ازدهاره. ولقد سبق أن رأينا، في القسم الثاني من هذه الدراسة، كيف أن رأس المال القومي هو الذي يتكفل بتنظيم حياة اليهود الوافدين على فلسطين، فهو الذي يوفر لهم العمل والمسكن والمدرسة وغيرها من الشؤون الحياتية.

الفصل السادس

تطبيق هذه الوسائل

ا ـ جابوتنسكي وممارسة الإرهاب:

قدم السيد عجاج نويهض صاحب كتاب: «بروتوكولات حكماء صهيون»، جابوتنسكي مؤسس حزب التصحيحيين الذي تنطق صحيفة «اليقظة اليهودية» بلسانه في تونس، كينبوع للارهاب الصهيوني، وذلك للأعتبارات التالية:

أ ـ جابوتنسكي هو من المنادين بأن الوصول الى الدولة يجب أن يتم بالتجمع والاقتحام، أي بقوة السلاح.

ب ـ جميع ما اقترفه اليهود من مذابح في فلسطين يعد تطبيقا لمخطط التجمع والاقتحام، وجابوتنسكي هو أول مجرب لتطبيق قاعدة التجمع والاقتحام.

ت ـ جابوتنسكي هو الذي اقترح نار الفتنة واستعمل السلاح في أحداث يوم النبي موسى التي كانت التجربة الأولى لتطبيق قاعدة التجمع والاقتحام، وقد كان بطلها.

ث ـ كان جابوتنسكي متوليا أمر الهاجانا (الدفاع القومي)، في انشائها وتدريبها عسكرياً، في الخفاء، وهي غير قانونية، كما أقام دائرة استخبارات بالغة

الدقة والتنظيم بحيث كان من الصعب على الحكومة أن تحمي كل أسرارها من السرقة.

ج - دعا جابوتنسكي الى الاعتماد على الشباب اليهودي، وسماه جيل الحرب القائم على التجمع والاقتحام، وقال أنه ينظم من صفوف هؤلاء الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٣ الى ٢٥ سنة.

ح - جابوتنسكي هو أبو مناحيم بيغن وابراهيم شترن في صناعة الارهاب. وبيغن وشترن هما من رؤوس ومنفذي المذابح ضد العرب في فلسطين كلها.

هذا هو اذن جابوتنسكي، زعيم التصحيحيين، والمثال الذي تحتذيه جريدة اليقظة اليهودية. وهذه هي مبادؤه الارهابية التي قنعتها هذه الصحيفة بمبدأ «الدفاع عن النفس». ولذلك كان استعمال القوة من ضمن وسائل انجاز دولتها على جميع المستويات.

٢ - الاستراتيجيا الصهيونية قائمة على العنف:

ان الاستراتيجيا الصهيونية مرتبطة بالعنف ارتباطا وثيقا، لأنه جزء من تفسيرها وتصرفات زعمائها. ويعتقد الصهاينة أن العنف هو السبيل الوحيد والأمثل لتحقيق أهدافهم الاستعمارية الاستيطانية وتنفيذ برنامجهم التوسعي في الوطن العربي. ولقد تأثر المفكرون الصهاينة بنظرية الفيلسوف الألماني نيتشه (١٨٤٤- ١٩٠٠) تأثرا كبيرا، وهو القائل ان ارادة القوة هي مقياس القيم في الحياة، والسعادة هي الشعور بأن القوة تنمو وتزيد. ومن أشد الصهاينة تأثرا بهذه الفلسفة، ميخائيل بيرديستنسكي الذي أبرز الدور الذي تقوم به القوة في حياة الشعوب، وأكد أن الثورة العنيفة هي الطريقة القويمة لقيام الدولة اليهودية، وأن الذي يموت وهو يحارب العرب سيبقى خالدا في مخيلة اليهود، أبد الدهر. ويقول دافيد بن غوريون ان الوضع في فلسطين سيسوى بالقوة العسكرية، ويعتقد أن اسرائيل لا يمكن أن تعيش الا بالسلاح والقوة. وخاتمة

القول في الجذور الارهابية التي تقوم عليها الصهيونية، قول بيغن: «أحارب، اذن أنا موجود».

ولقد قام الصهاينة بتطبيق هذه الاستراتيجيا القائمة على العنف والارهاب لارساء الدولة ثم لتدعيمها ثم لتوسيع نفوذ الصهيونية في المنطقة.

٣ - مراحل تطبيق الاستراتيجيا:

أ - الارهاب الصهيوني في الثلاثينات:

شرعت الحركات الصهيونية في فلسطين في القيام بأعمالها الارهابية وتطبيق سياسة العنف التي تنتهجها لارساء دولتها. ولقد كان سكان فلسطين العرب أول هدف لهذه الأعمال الارهابية. وكانت هذه الأعمال تتمثل في القاء القنابل في الأسواق والمقاهي والمنازل، وكما وقع في حيفا ويافا خلال سنتي ١٩٣٦ـ ١٩٣٧، حيث قام الصهاينة بقذف قنابل على مقهى وأخرى في سوق عربي فقتل ٤٠ وجرح ٥٨. وكانت هذه العمليات تستهدف وسائل النقل والجسور والطرقات. كما كان الارهاب الصهيوني يستهدف غير العرب من البريطانيين والمدنيين والعسكريين. وتتمثل هذه الأعمال في احتجاز الرهائن وجلدهم وقتلهم وارسال طرود ملغمة وسرقات وتدمير وغيرها من الأعمال الارهابية التي لم تقتصر على الأشخاص، بل استهدفت الاقتصاد وعمدت الى تخريبه، كتخريب خزانات النفط وقنوات وأنابيب النفط العراقية وغيرها. كما كانت العمليات الصهيونية الارهابية تستهدف اليهود، وتتمثل خاصة في الاغتيال السياسي. ولقد قام أتباع جابوتنسكي في فلسطين باغتيال رئيس المنظمة الصهيونية، أولوزوروف، في ضاحية تل أبيب سنة ١٩٣٣. كما قامت الهاجاناه (الدفاع القومي)، وهي ما تعتبر القوات المسلحة الصهيونية، بنسف سفينة تقل يهوداً مهاجرين مما أدى الى مصرع ٢٤٠ من الركاب.

ب - الارهاب الصهيوني في أثناء حرب فلسطين ما بين ١٩٤٧ـ١٩٤٨

قادت المنظمات الارهابية، أرغون التابعة لبيغن، والعمل التابعة لشترن،

وهما تلميذا جابوتنسكي، في ممارسة الارهاب، عمليات غاية في الوحشية والعنف، فقامتا بقذف القنابل في الساحات مما أدى الى قتل ١٦ وجرح ٦٧ من العرب، وأسفر حادث مماثل، في يافا، عن قتل ٣٠ شخصا وجرح ٩٨ من العرب، وعملية أخرى أسفرت عن ١٧ قتيلا عربيا. وفي حادثة تلغيم قطار يقل ركابا، قتل ٢٧ عربيا وجرح ٣٦. وفي حادث آخر مماثل، في ٣١ مارس ١٩٤٨، قتل ٤٠ عربيا وجرح ستون. ومن العمليات الصهيونية الارهابية الأخرى القاء القنابل والمتفجرات على الفنادق والعمارات السكنية العربية. ففي شباط (فبراير) ١٩٤٨، قامت بعض العصابات الارهابية بتفجير المباني والمنازل مما أسفر عن قتل وجرح عدد من عرب. في ايار (مايو) من السنة نفسها، هاجم هؤلاء على معسكراً سابقاً للجيش البريطاني وقتلوا ٩٠ عربيا. وبعد ٣ أيام من هذه الجريمة، نسف اليهود بيتا في طبريا قتل فيه ١٤ عربيا.

ومن الأعمال البالغة الشراسة والوحشية، والتي كثفت الصهيونية من اعتمادها في الهجوم على القرى وعمليات القتل الجماعي، هجوم الهجانا، في كانون الأول (يناير) ١٩٤٧، على قرية بلد الشيخ وقتل أكثر من ٦٠ عربياً. وفي عملية أخرى مماثلة في قرية سعسع سنة ١٩٤٨، قتل نحو ٦٠ عربيا. وتتمثل قمة الوحشية الصهيونية، في هذه الفترة، في مجزرة دير ياسين التي تمت في ١٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨.

ومن الأعمال الجائرة الأخرى احتلال المدن العربية وطرد سكانها بالقوة. ففي حيفا، هاجم اليهود، بعد منتصف الليل، ٢٢ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٤٨، المدينة، فاحتلوا البيوت والشوارع والمباني العامة، وقتلوا خمسين عربيا وجرحوا ٢٠٠. فأخرج السكان الذين فوجئوا بهذا الهجوم نساءهم وأطفالهم لنقلهم الى عكا. وفي أثناء ذلك، هاجمت المواقع اليهودية الأمامية هؤلاء العرب، فقتلت ١٠٠ عربي وجرحت ٢٠٠ آخرين. وفي يافا، ركز الصهاينة في ٢٥ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨، قصف المدافع على السكان العرب الذين لم يسمح لهم البريطانيون بالتسلح ولم يتولوا أمر حمايتهم. وقد أثار القصف الذعر بين العرب. بالاضافة الى ذلك، قامت القوات الصهيونية بمهاجمة البيوت ونهبها

وتحطيمها على نطاق لم يسبق له مثيل، مما أكره العرب على الرحيل. ومن مظاهر الارهاب الصهيوني، أيضا، الحرب النفسية التي شنتها الصهيونية على العرب عبر أجهزتها الاعلامية، وذلك قصد ترحيلهم.

ت ـ الارهاب الصهيوني ضد العرب ما بين حرب فلسطين والعدوان الثلاثي (١٩٤٨ ـ ١٩٥٦)

استمرت، في هذه الفترة، سياسة اخلاء القرى العربية. فبعد طرد العرب من قرى أقـرت ـ كفـر برعم ـ حسام ـ قطبعة ـ الجاعونة والغابسة، توجهت القوات الصهيونية إلى بدو الصحراء. ففي ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٠، قامت هذه القوات، مستعملة السيارات المصفحة ومستعينة بالطائرات، بطرد ٤٠٧ بدويا من قبيلة العزازمة من منطقة العرجا المجردة من السلاح على الحدود المصرية، الى مصر، وأجبـرتهم على اللجـوء الى سيناء. وقد قتل خلال هذه العملية ١٩ شخصا معظمهم من الأطفال والنساء.

كما قام الصهاينة بطرد العرب من مجموعة قرى دفعة واحدة، كما حصل في ايار (مايو) ١٩٥٥، اذ أجبروا سكان ١٣ قرية في وادي عارة على ترك قراهم وطردوهم عبر الحدود. كما طرد الصهاينة من الحدود الفلسطينية ـ السورية ٦٥٠ عربيـا، تمهيدا لاستيطان مناطقهم. كما قام الصهاينة بأعمال ارهابية أخرى في هذه الفترة، كتهديد موظفي الأمم المتحدة والاعتداء عليهم، والقيام بهجمـات على المؤسسات والمصالح الأمريكية والبريطانية خارج فلسطين. كما أنهم مارسوا الارهاب ضد اليهود في البلاد العربية وضد الأراضي العربية المجاورة.

ث ـ الارهاب الصهيوني أثناء حرب ١٩٥٦ وأثناء الاحتلال:

توالت عمليات القتل الجماعي للمدنيين واللاجئين. وقد قتل الصهاينة ٤٧ عربيا، من بينهم ٧ أطفال و ٩ نساء من العاملين في حيفا. كما قتلوا ٢٧٥ آخرين

يوم احتلال بلدة خان يونس، وتلت ذلك عملية أخرى في مخيم رفح الذي يضم ٣٢ ألف لاجيء.

ج - الارهاب الصهيوني بعد حرب ١٩٥٦ وحتى ١٩٦٧

خلال هذه الفتـرة، هاجمت المدافع والطائرات الاسرائيلية قرية النقيب منزوعة السلاح. كما تواصل عمل الصهاينة بتدمير البيوت وقتل الأبرياء على الحـدود الأردنيـة. وفي ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣، هاجم الصهاينة، بالدبـابـات والسيـارات المصفحة، قرية السموع، فهدموا ١٢٥ بيتا ومدرسة وعيادة، ودمروا بيتا في قرية أخرى. وقد استعمل الصهاينة خلال حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، أشد أنواع الترهيب والتعذيب، من قتل جماعي للعرب والتشنيع بجثتهم. ودفعوا أمامهم الأطفال العرب في مواجهة النيران الأردنية. كما شنع الصهـاينة بالأسرى وأمعنوا في تعذيبهم، مستعملين أبشع الطرق. كما قاموا بنسف أحياء في المدن والقرى وبالترحيل الجماعي. وبدأت سلطات الاحتلال الصهيوني في عمليات النسف بعد ١٢ حزيران (يونيو). فقد أجبرت ٤٠٠ عائلة على مغادرة منازلها بالقدس. وبعد انذار مدته ٩ ساعات فقط، بدأت الجرارات بهدم البيوت لشق طريق الى الساحة الكائنة أمام حائط المبكى.

تلت عملية القدس عملية نسف مدينة قلقيلية بكاملها، بالمتفجرات، وطرد أهلها، بعدها، تم نسف قرى بالو وعمواس. كما عمدت هذه القوات الجائرة الى قتـل السكـان أثنـاء رحيلهم. من ذلك أن الطائـرات الاسرائيليـة أغارت على اللاجئـين، يوم ١٤ حزيران (يونيو) على الطريق من القدس الى أريحا، مدمرة ومحرقة. كما عمدت الى قتل موظفي الأمم المتحدة.

ح - الارهاب الصهيوني بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧

لم يكتف الصهاينة بارغام العزل على ترك قراهم خلال قتال ١٩٦٧، بل أخذوا يطلقون النار على أي فرد أو مجموعة تحاول العودة الى قراها. وتواصلت عمليـات تدمير ونهب البيوت. وقد أدانت لجنة العفو الدولية، في تقريرها سنة

١٩٧٠، تعذيب السجناء في «اسرائيل» وانتهاكها حقوق الانسان واستعمال أبشع طرق التعذيب. كما واصل الصهاينة هدم القرى وعمليات الطرد الجماعي وتدمير المحاصيل بمواد كيماوية وشن الهجمات المفاجئة. كما عمدوا الى اغتيال الشخصيات السياسية وغيرها، كاغتيال الكاتب الأديب غسان كنفاني، في بيروت، في ٨ تموز (يوليو) ١٩٧٢.

٤ ـ تطبيق الاستيطان والهجرة:

أ ـ الاستيطان:

يقترن هدف الاستيطان مع هدف تهويد فلسطين، ومن خلال ذلك، تكريس سياسة الأمر الواقع واستيعاب المهاجرين الجدد بعد أن اقيمت الدولة، وبعد حرب ١٩٦٧، أصبح الهدف من بناء المستوطنات هو توسيع الدولة. وهو ما عبر عنه موشي ديان بقوله: «الاستيطان في المناطق صنع حدود الدولة» [٤٦]. وكثافة الاستيطان توفر الحاجة لطرد العرب وترحيلهم، فيصبح الاحتلال أمرا واقعا. وتطور هدف الاستيطان فأصبح عامل الأمن هو العامل الرئيسي وراء اقامة المستوطنات، لذلك يراعى في اقامتها الموقع الاستراتيجي الحيوي حيث يسهل الدفاع عنها ويمكن شن الهجومات انطلاقا منها.

ب ـ تأثير النازية على الهجرة:

لقد أدى تولي هتلر الحكم في ألمانيا، في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣، وتصعيد الأعمال اللاسامية ضد اليهود، الى تصاعد الهجرة اليهودية. وبما أن بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأميركية قد حددت هجرة اليهود إليها، فقد توجه هؤلاء الى فلسطين. ولقد أسفر ذلك عن وصول ٩٥٠٠ مهاجر إلى فلسطين سنة ١٩٣٢، و ٣٠٠٠٠ سنة ١٩٣٣ و ٤٢٠٠٠ سنة ١٩٣٤ و ٦٢٠٠٠ سنة ١٩٣٥. وخلال هذه السنة الأخيرة، كانت المجموعة اليهودية في فلسطين تعد ٤٤٣٠٠٠ بين مجموع سكان: ١,٥٠٠٠٠٠ مليون.

بينمـا كان معـظم المهـاجـرين السابقين أفراداً من الطبقات المتوسطة والبرجوازية الصـغيرة، كان المهاجرون الجدد أترف. لقد حمل هؤلاء المهاجرون، خصـوصاً الآتون من ألمانيا، رؤوس أموال هامة ساعدت، الى حد بعيد، على ازدهار الاقتصاد اليهودي، خصوصاً قطاع الصناعة والبنوك.

ونظراً لما يحمله يهود ألمانيا من رؤوس أموال، ركزت «اليقظة اليهودية» على مهاجمة هتلر وتحريض يهود ألمانيا على الهجرة أكثر من الصحف الأخرى، وذلك للطبيعة الرأسمالية للدولة التي تنوي بناءها في فلسطين وأهمية هذا العامل في تحقيقها.

الفصل السابع

وسائل الانجاز الخارجية

التحليل الكمي

يتمثل هذا الجدول في تحديد مصادر الدعم وعلاقة الصهيونية معها. ولقد عمدنا الى تعداد تواتر الجمل أو الكلمات التي تبين علاقة الصهيونية بهذه المصادر، ولتحديد المصدر الخارجي الرئيسي الذي كانت تعتمد عليه الصهيونية في هذه الفترة.

قد يلاحظ القارىء وجود تناقض في الجدول، غير أن هذا التناقض والمتمثل في اعتماد الصهيونية على بريطانيا ومهاجمتها لها، في الوقت نفسه، يعكس التناقض في صلب الصهيونية نفسها، فهي تطالب بريطانيا بتقديم الدعم لها. وتتوجه إليها من منطلق ان لها عليها حق، ثم تتهجم في الوقت نفسه. ذلك أن الصهيونيين رأوا أن دعم بريطانيا لهم في هذه الفترة قد تناقص.

الأصناف	الوحدة التحريرية الجملة أو الكلمة	صحيفة الحلوز	صحيفة الفجر	صحيفة اليقظة اليهودية
بريطانيا			-	٢
دعم		٦		
غيرها			٦	٤
التهجم على بريطانيا			٦	٤

أ ـ فيم يتمثل الدعم الخارجي:

بالنسبة لصحيفة «الحلوز»، يتمثل هذا الدعم في طرفين وهما بريطانيا واليهود أنفسهم. أما بالنسبة لدعم بريطانيا، فيتمثل في تحقيق وعد بلفور والقيام بالواجب، وتسهيل الهجرة لليهود واعانتهم على بناء الدولة اليهودية ورفع التضييقات على الهجرة وفتح أبواب فلسطين أمام الوافدين عليها من اليهود.

أما بالنسبة للطرف الثاني وهو اليهود أنفسهم، فيتمثل دورهم في الضغط على بريطانيا، وذلك عن طريق اللوائح الموجهة للقناصل البريطانيين، ويتمثل هذا الدور، أساسا، حسب «الحلوز» في تهيئة «الحياة في فلسطين، الحياة الاقتصادية والاجتماعية. كما يتمثل هذا الدور في بعث الأنشطة الاقتصادية الجديدة وارساء مجتمع جديد والعمل من أجل تحقيق الدولة، وهي بذلك تلمح إلى مساهمتهم في تضخيم رأس المال القومي.

تتفق صحيفة «اليقظة اليهودية» مع «الحلوز» فيما يتعلق بالدعم البريطاني ونوعية هذا الدعم، والمتمثل في تطبيق بريطانيا لوعد بلفور؛ غير أنها تختلف معها في طريقة الحصول على هذا الدعم. فبينما ترى «الحلوز» أن هذا الضغط يجب أن يتمثل في المطالبة عبر اللوائح والنصوص الموجهة للقنصليات،

ترى «اليقظة اليهودية» أن هذه المطالبة بالدعم يجب أن تتم باستعمال القوة ضد بريطانيا. وترى «الحلون» في هذه الطريقة الوسيلة الناجعة التي تحقق للصهيونيين مأربهم. ومن ناحية أخرى، تطلب «اليقظة اليهودية» دعم وإعانة بلدان أخرى، ولا تبين من هي، «بتصاعد نداء بني اسرائيل إلى الأمم نداء عدالة»(٤٧). ومما يدل على اعتمادها على أطراف أخرى غير بريطانيا قولها: «يجب على انكلترا أن تغادر فلسطين. وتوجد في عصبة الأمم دول أخرى قادرة على مراقبة فلسطين في انتظار تكوين الدولة اليهودية». ومن كل هذا، اذن، أمكننا استخلاص أن «اليقظة اليهودية» تعتمد على دولة أخرى غير بريطانيا، الا أنها لا تبين بوضوح من هي، كما لا تبين ان كانت دولة واحدة أم عددا أكبر. أما بالنسبة لـ «الفجر» فهي لا تبين اعتمادها على بريطانيا مهما كان نوع هذا الدعم، وانما تكتفي بمهاجمتها والطعن في سياستها، كما أن هذه الصحيفة تتفق مع «اليقظة اليهودية» فهي كذلك تشير إلى دعم أطراف خارجية لا تبين هويتها ولا تحددها، بل تكتفي بالقول «البلدان الصديقة» و «البلدان المتقدمة».

٢ ـ العلاقة مع بريطانيا:

تتوجه «الحلون» الى بريطانيا لمطالبتها بحق اليهود، تطالبها بالقيام بواجبها نحوهم، وهو اعانة اليهود على بناء دولتهم، اعتمادا على وعد بلفور. وتتكلم الحلوز بمنطق الحق والمسؤولية، أي أن لليهود حقاً على بريطانيا ومن واجب هذه الأخيرة أن تفي بوعدها فتساهم في بناء الدولة اليهودية. كما تطالب «الحلون» بأن تسهل بريطانيا لليهود العودة الى ما تسميه وطنهم، أن تسهل لهم السفر والدخول. وهي، بذلك تعني معارضتها لسياسة بريطانيا في تحديد الهجرة، وتقييدها بشروط. وقد عبرت بريطانيا عن سياستها هذه في كتاب Bas-fild الذي أصدرته في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٠، والذي تضيق فيه دخول اليهود إلى فلسطين، تقول فيه: أنه لم يعد هنالك أراض لانشاء مستعمرات فلاحية جديدة للمهاجرين الجدد.

وتقوم «الحلون» بتحريض يهود العالم على والضغط عليها، أما طريقة

الضغـط التي تعتمـدها «الحلون» فهي تقديم لائحة وراء لائحة واحتجاج تلو الاحتجاج للقنصليات البريطانية في البلدان المتواجدين فيها. وتحذر «الحلون» بريطانيا من مغبة مخالفتها للوعد الذي قطعته على نفسها أمام الدول، كما تنبهها لخـطر اخلالها بمهمتها وهي «اعانة اليهود على أن يكونوا أحرارا» وأن يبنوا وطنهم القومي وخاصة على تنصيبهم في فلسطين.

وقد ضمنت الحلوز برنامجها السياسي بندا ينص على تخليص فلسطين من الاستعمار، وهي تعني الاستعمار البريطاني، وبهذا، تبني ما تسميه بالعمل الوطني. اذ ترى هذه الصحيفة أن بريطانيا قوة استعمارية في فلسطين وستعمل على ازاحتها مدافعة عن العمال؛ «ذلك أنه يجب على الصهيونية أن تقف في وجه بريطانيا التي تحتل فلسطين بعرق العمال»(٤٨).

اذن، تبـدو طبيعـة العلاقة التي تقيمها «الحلون» مع بريطانيا عدائية. تسعى هذه الصحيفة الى اكسائها شرعية وطنية وصبغة وطنية، وهي الصبغة التي تسعى الى خلعهـا على حركتهـا الصهيونية، وهي طريقة تتهجم بها على بريطانيا وتبرر بها موقفها وتبرر بها سياستها الاستعمارية وطبيعتها التوسعية.

ومن ناحيـة أخـرى تعلن «الحلون» أن كل سياسة تأخذ بعين الاعتبار بريطانيا وتعتمد عليها، لن تصل إلى شيء وستجر الصهيونية الى الفشل. وترى «الحلون» أنه لا يمكن أن يعول على بريطانيا ولا يمكن التحالف معها، لتضارب مصالحها مع مصالح الصهيونية. ولا سبيل للتحالف بين مصالح الصهيونية والامبـريـالية الانكليزية، ولا يوجد تفاهم بين السياسة الصهيونية والسياسة الانكليزية. وان نجاح الصهيونية يكمن في تغلب الاستعمار اليهودي على النظام الاستعمـاري الانكليـزي. وان المصـالح واحدة، ولكن، ليست متحدة بل هي متضـاربـة، وتضيف «الحلون» أن هذا التضـارب سيتفاقم مع تقدم الحركة الصهيـونيـة وبدعم الطبقة العمالية. وستمس الصهيونية بأرباح الرأسمالية الانكليـزيـة وفي ظل النظام الاستعماري للمنظمة الصهيونية، وعندها تصبح الطبقة العمالية خطرا على الهيئة الانكليزية. ولذلك تؤكد «الحلون» أن كل سياسة

تأخذ بعين الاعتبار بريطانيا هي سياسة فاشلة. وهي، بذلك تلمح الى التصحيحيين أو الى صحيفة «اليقظة اليهودية» فتقول «ان التصحيحيين يريدون الاقتداء بانكلترا، فهم يصرحون بأن الانكليز يريدون الاستغلال ويعتمدون على العمل الزهيد، نحن كذلك لن نمس الأسس الأساسية للهيمنة السياسية». وأوردت «الحلون»، في عددها الصادر يوم ٥ ايار (مايو) ١٩٣٣، أن التصحيحيين يقولون: «التحالف مع انكلترا، وبه نستطيع أن نتابع حركتنا الصهيونية في أمان تحت حماية الامبراطورية البريطانية العظمى التي تكون قد بعنا أرواحنا اليها». ومن هنا تنعت الحلوز التصحيحيين بالفاشية.

غير أن «اليقظة اليهودية»، لسان التصحيحيين في تونس، تظهر عكس ذلك عن طبيعة العلاقة مع بريطانيا. فهذه الصحيفة تظهر عداء ألد من الذي تظهره صحيفة «الحلون»، وتتفق «اليقظة اليهودية» مع الحلوز في مطالبتها انكلترا بفتح فلسطين أمام اليهود المهاجرين ووجوب الاسراع في هذا العمل. ولقد قدمت هذه الصحيفة دراسات واحصائيات تثبت أن فلسطين لا تزال تستوعب القادمين، وأنها في حاجة الى اليد العاملة، الى الهجرة اليهودية. ان العلاقة التي تظهرها «اليقظة اليهودية» مع بريطانيا ألد من التي تظهرها «الحلون». وقد حملت «اليقظة اليهودية» خطابها لهجة بالغة الحدة والتهجم، وبلغت أقصى حدود التهديد بالقوة. وذلك ما لم تقم به «الحلون»، ومرة أخرى، تلقي «اليقظة اليهودية» التهم المتعددة ضد بريطانيا، وتنعتها بالانتهازية والأنانية، وتتهمها بهضم حقوق اليهود. ولذلك ترى «اليقظة اليهودية» وجوب مغادرة بريطانيا لفلسطين، وتضيف أن بريطانيا لن تخضع لهذا الواجب ولن تلبي رغبة الصهاينة الا بالمقاومة، وأن اليهود لن يحصلوا على رحيلها بالاستجداء»(٤٩).

أما «الفجر» فتقتصر علاقتها مع بريطانيا على المهاجمة. تتهجم هذه الصحيفة على سياسة بريطانيا تجاه اليهود، فتنعتها بأنها تمارس سياسة هتلر في فلسطين، كما ترميها بخيانة ما عهد اليها من طرف عصبة الأمم؛ فهي تحاول

ادانتها، لا على المستوى الصهيوني، فقط، بل، على مستوى دولي؛ ثم تقول ان بريطانيا امبريالية وأنها تشكل خطرا على اليهود.

٣ ـ سياسة بريطانيا في فلسطين سنة ١٩٣٣

أصدرت بريطانيا سنة ١٩٣٠، على أثر التحقيق الذي أجرته لجنة شو، كتاب باسفيلد الأبيض الذي ينص على وجوب تحديد الهجرة اليهودية وتقييد دخول اليهود الى فلسطين بشروط. ولقد ذكّرت في هذا الكتاب أنه «نظرا لطبيعة الطرق الزراعية التي يتبعها المزارعون العرب في فلسطين، لا يوجد حاليا أراض شاغرة لبعث المستعمرات الفلاحية للمهاجرين الجدد، باستثناء الأراضي البور التي وضعتها الوكالة اليهودية للاعتباط»(٥٠). وطبعاً لم يرق هذا التضييق في الهجرة اليهودية للصهاينة الذين عارضوا هذا الكتاب بكل ما أوتوا من قوة، فهو لا يخدم سياستهم الهادفة الى جعل الأغلبية لليهود في فلسطين، وهي نقطة استراتيجية يبنون عليها دولتهم.

وفي سنة ١٩٣٣، صرح المندوب السامي البريطاني في فلسطين بأن بريطانيا لا تولي أية أهمية لما لا يخدم مصالحها؛ كما صرح بأنه لا وجود لوعد وأن القضية الصهيونية التي كان على بريطانيا الدفاع عنها قليلة الأهمية، وأن فلسطين ليست مخصصة لكي تكون مقرا شرعيا لليهود، كما اعتقد الصهاينة بل هي بلد كالبلدان الأخرى، لا يراعي إلا مصلحة سكانه الحاليين وراحتهم(٥١).

في هذا التصريح، اذن، تبدو بريطانيا وكأنها تقلل من دعمها للصهاينة، بعد أن ساندتهم طويلا وأعطتهم الضمانات الأولى، وبعد أن كانت السبب في وجودهم في فلسطين، ويمكن تفسير هذا الموقف بتضارب مصالح القوتين الاستعماريتين. لقد أعانت بريطانيا ودعمت الصهاينة، حتى يكونوا بيادقها في المنطقة يعززون صفها وتفرض عبرهم سيطرتها، لكن، مع تدعم الصهيونية وتبلور سياستها قويت حركتها في المنطقة وتطورت طموحاتها وأخذت تعبر عن

نواياهـا الاستعمارية التوسعية، دون مراعاة لبريطانيا ومن غير أن تقيم لها حسابا، فأصبحت مصالحها تتضارب مع مصالح بريطانيا. وهذا هو ما يفسر تهجم الصحف الثلاث على سياسة بريطانيا، في هذه الفترة، وهذه هي العلاقة التي يمكن وصفها بعدائية بين الطرفين.

الخاتمة

كان الفكر الصهيوني حاضراً ومجسداً في تونس، تجسده الصحف الصهيونية التي تعمل من أجل تركيز مبادئه وأهدافه في المجتمع التونسي. وعلى مستوى أبعد من ذلك، لم تكن هذه الصحف لتتوجه الى المجتمع التونسي، فقط، بل تتعداه الى فلسطين وأوروبا وغيرها من المجتمعات، وبالتالي، تتوجه الى الرأي العام العالمي. وقد كانت هذه الصحف تبدي حماسها وانتماءها للصهيونية وتدافع عن الدولة اليهودية، بكل ثبات، عاملة على صهينة يهود تونس وترويج الايديولوجيا الصهيونية وانجاح دعايتها. وهكذا، كانت هذه الصحف وغيرها تعمل، بكل حرية، في البلد العربي، تونس، بتواطؤ مع سلطات الحماية الفرنسية التي كانت تفسح لها المجال.

ولقد ساهمت هذه الصحف، بما تنشره، في الكشف عن حقيقة الحركة الصهيونية من حيث الاتجاهات المتواجدة داخلها، فصحيفة «الحلون»، التي تنتمي الى ما يسمى باليسار الصهيوني الذي يعتمد النظرية الاشتراكية، لم تكن من اليسار في شيء. وهي بعيدة كل البعد عن الشيوعية، ومحاولة المزج بين مفهومي الصهيونية والاشتراكية كانت فاشلة، فهما متضاربان كل التضارب، اذ تقوم الصهيونية على التمييز العرقي بادعاء أن اليهود هم الشعب المختار، بينما تنطلق الاشتراكية من المساواة بين كل الأطراف، بقطع النظر عن عرقها وملتها.

ثم ان الصهيونية هي حركة ذات أهداف توسعية وأبعاد استعمارية امبريالية وهذا يتناف تماما مع الاشتراكية. فالاختلاف، اذن، جوهري بين الصهيونية والاشتراكية، ولذلك باءت محاولة الهاشومير هاتسعير على لسان «الحلون» للتأليف بين الاشتراكية والقومية في ظل الصهيونية، بالفشل. ولقد تجسد هذا الفشل في اضمحلال هذا التيار وانقراضه في تونس. وذلك على اثر ارتداد أعضائه عنه وانخراطهم في الحزب الشيوعي الفرنسي. ان التظاهر بالاشتراكية وادعاء المبادىء اليسارية هو مجرد ذريعة وقناع تعتمده الحركة الصهيونية. وما ادعاء بناء دولة عمالية، وما التظاهر بالدفاع عن الطبقة العاملة وعن الأفراد الضعفاء الا مجرد ديماغوجيا اعتمدتها الحركة الصهيونية لجلب أكثر عدد ممكن من الاتباع ولكسب تعاطف هذه الطبقة. وينصهر هذا الاتجاه في محاولتها للتأثير على اليهود وغيرهم، بكل الطرق والوسائل. فالى جانب استعمالها الدين، وهو عامل تأثير قوي لدى الأفراد والشعوب، وكذلك الشأن بالنسبة للقيم السامية، فقد استعملت، كذلك، الاشتراكية لما لها من مبادىء تستجيب إلى رغبات الكثير وبما لها من تأثير، لا سيما على الطبقة العاملة.

أما عما تبين، عبر تحليل ما ورد في صحيفة «الفجر» من مواقف وأفكار وتصورات تابعة لتيار الوسط في الحركة الصهيونية، فتكاد تماثل اليمين الصهيوني الذي تعبر عنه «اليقظة اليهودية»، من حيث تصور نظام الدولة اليهودية. فالنظام واحد وهو النظام الرأسمالي. ويتفق الاتجاهان في طريقة العمل ووسيلة الانجاز الأساسية وهي الهجرة، عماد سياسة الاستيطان وبالتالي الاستعمار.

لقد ظلت «اليقظة اليهودية» الممثلة لليمين الصهيوني وفية لما أعلنته من مبادىء، ومن أهمها بناء الدولة اليهودية في أسرع وقت ممكن وبكل الوسائل، هي الهجرة والاستعمار والتوسع، والتسلط الاقتصادي والارهاب.

ان هذا التقسيم داخل الحركة الصهيونية ليس الا مجرد تمويه، فالكل يعمل لهدف واحد هو بعث الدولة الصهيونية، وبوسيلة تكاد تكون واحدة.

وانطلاقا مما كانت تبديه هذه الصحف من ولاء للحركة الصهيونية

العالمية وارتباطها العميق بها، تمكننا من تبيان حقيقة وواقع الحركة الصهيونية العالمية واستراتيجيتها سنة ١٩٣٣. فقد كانت هذه الحقبة فترة ترسيخ وبناء للدولة. وبعد أن نال اليهود الصهاينة الضمانات الدولية وخاصة من بريطانيا وتزكيات عصبة الأمم، تأتي هذه الفترة التي عمل فيها الصهاينة على ارساء قواعد دولتهم. ولقد كانت استراتيجيتهم قائمة على الهجرة اليهودية الواسعة المكثفة وذلك لتكريس سياسة الأمر الواقع التي تعتمد على قاعدة «الأغلبية لليهود في فلسطين»، فاذا صارت لهم الأغلبية وفاق عددهم عدد العرب، صار من السهل المحاججة بادعاء الحق على الأرض وبناء الدولة، وبذلك يصبح من الصعب صد اليهود عن الاستيطان في فلسطين وترحيلهم عنها. كما كانت الاستراتيجية الصهيونية تقوم على امتلاك الأرض وشراء الضيعات وانتزاعها من أصحابها. ولقد استعمل الصهاينة السلاح ضد العرب العزل مما أدى الى سقوط ضحايا. وهو ما حملنا على ذكر الارهاب كوسيلة انجاز مستعملة في هذه الفترة طبقها الصهاينة في فلسطين ودافعت عنها صحيفة «اليقظة اليهودية» في تونس، ولقد أطلقت عليها اسم «سياسة الدفاع عن النفس». ومن النقاط الأخرى الواردة في الاستراتيجيا الصهيونية، سنة ١٩٣٣، هي الاهتمام بالاقتصاد. لقد انكب الصهاينة على تجميع رؤوس الأموال من كل أنحاء العالم، سواء في الصندوق القومي الذي يمكن اعتباره مؤسسة بنكية قومية(٥٢)، أو عن طريق البنوك الأخرى. كما اعتنت ببعث أنشطة اقتصادية وبتدعيم المنتوج اليهودي وعملت على ترويجه.

وعلى الصعيد الخارجي، تميزت هذه الفترة، على وجه التحديد سنة ١٩٣٣، بنقص الدعم البريطاني للصهيونية في فلسطين. فبعد أن كان هذا الدعم شبه مطلق وصريح تمخض عنه وعد بلفور وما تلاه من دعم بمختلف مظاهره، شهدت هذه السنة فتورا في هذا الدعم واعتراضا عبر عنه القائم بأعمال بريطانيا في فلسطين. كما عبر عن الغاء دعم بريطانيا للصهيونية ونفى أن تكون فلسطين مخصصة كي تكون وطنا قوميا يهوديا(٥٣). لقد أرادت بريطانيا أن يكون الصهاينة بيادقها في فلسطين فيمكنوها من الاحتفاظ بهيمنتها على المنطقة،

وفرض تواجدها فيها ومراقبتها للشرق الأوسط، لكن الصهيونية أصبحت تظهر الأطماع نفسها فصارت المصالح متضاربة. على أن الصهاينة سعوا إلى كسب دعم دول أخرى من بينها الدول الأوروبية، ورغم ادعائهم الاعتماد على أنفسهم في بناء دولتهم، فالأمر غير صحيح ذلك أن دولة اسرائيل ما كانت لتقوم لولا الدعم الأوروبي.

هكذا اذا كانت الاستراتيجيا الصهيونية على الصعيدين، المحلي، أي في تونس، والعالمي. وهذه هي ركائزها ووسائلها التي أفرزتها هذه الدراسة للنماذج الممثلة للحركة الصهيونية، وهي الصحف الثلاث التي تعبر عن ثلاثة اتجاهات هامة داخل هذه الحركة.

وبعد فترة العمل على ارساء ركائز الدولة أتت فترة التطبيق، وأنجزت الدولة الاسرائيلية. وأعلن دافيد بن غوريون عن قيامها في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨، بعد أن قررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين، سنة ١٩٤٧، فكانت كما أرادها الصهاينة أن تكون، وحولت الى واقع كل التصورات التي أوردتها الصحف المعنية.

ولقد عبرت هذه الدولة، فور قيامها، عن نواياها التوسعية، وشرعت، حال استيلائها على الأرض، في تطبيق سياستها التوسعية. وقبل أن يعلن بن غوريون قيام الدولة الاسرائيلية، قامت العصابات الصهيونية المحكمة التدريب والتي تملك عتادا متطورا بالهجوم على الشعب الفلسطيني مدعومة، في ذلك، من قبل قوات الانتداب البريطاني، فكانت أبشع عمليات التقتيل في عدد من المدن والقرى التي احتلت بعد طرد السكان الأصليين منها. ثم دخلت الجيوش العربية لانقاذ فلسطين وللدفاع عن الحقوق المشروعة لشعبها، فكانت النتيجة أن أصبحت العصابات الصهيونية تسيطر على ٧٨,٥٪ من مجموع مساحة فلسطين. كان، اذن، العدوان على فلسطين وعلى العرب وكانت حرب ١٩٤٨. ثم كان العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ والذي شاركت فيه اسرائيل على اثر قرار الرئيس المصري جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس. واحتل الصهاينة قطاع غزة (ثم أرجعوه بعد الحملة العالمية)، ثم كانت حرب حزيران (يونيو)

١٩٦٧، فاحتلت، اسرائيل كامل فلسطين وكامل شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان. وأسفرت الحرب عن طرد ٤١٠٠٠٠ فلسطيني من الضفة الغربية وغزة فقط. ثم تلت هذه الحرب حرب ١٩٧٣ التي تصدى فيها العرب لاسرائيل.

كل هذه الحروب تنم عن الطبيعة التوسعية والغاية الاستعمارية لاسرائيل وانجاز النظام الاستعماري «الذي تصورته الحركة الصهيونية سنة ١٩٣٣ والذي عبرت عنه «الحلون»(٥٤). وهي مواصلة انجاز ما تصورته الصحف والحركة الصهيونية العالمية. ومما يعبر عن الطبيعة التوسعية للصهيونية الاختلاف في تحديد حدود اسرائيل. لم يكن الصهاينة، في هذه الفترة، مقتنعين بالحدود التي نص عليها وعد بلفور، كما لم يكونوا مكتفين بفلسطين، بل كانت فلسطين الذريعة والمحطة الأولى. لقد حرصت كل من «اليقظة اليهودية» و «الحلون» على التعبير عن رغبتهما في التوسع خارج هذه الحدود عن طريق ضم الأردن الذي اعتبرته «اليقظة اليهودية» تابعاً لفلسطين بحكم طبيعته وتاريخه.

هذه، اذن، هي سياسة اسرائيل التوسعية منذ نشأتها، وهي لا تزال متواصلة. من ذلك ما حصل مؤخرا في لبنان وما كان من سيطرتها على جنوب لبنان وتدخلها في بيروت. لقد كان الصهاينة سنة ١٩٣٣ يعللون أطماعهم التوسعية بسبب استيعاب الهجرة اليهودية المكثفة ويبررون استعمارهم لفلسطين «بحقهم في الرجوع إلى أرض أجدادهم». أما اليوم، وما زالت حدود الدولة ممطوطة، فتتذرع اسرائيل بالأمن، وتحاول تبرير توسعها بتعلة الدفاع عن نفسها وعن مصالحها، وهو في الحقيقة توسع استراتيجي. ولا تتردد اسرائيل في بلورة نظرية تروجها في الرأي العام العالمي، تقوم على السلام «عن طريق الحرب». وخير تجسيد لطبيعة اسرائيل التوسعية هو ما قاله رئيسها الأول وايزمن، الذي صرح أن حدود الدولة اليهودية غير محددة وانما تكبر وتمتد كلما قويت هذه الدولة.

ولقد عمل الصهاينة على تطبيق سياسة الاستيطان قبل أن يؤسسوا دولتهم، ثم عملت اسرائيل على تدعيم هذه السياسة. وبعد أن كانت سياسة الاستيطان معتمدة من أجل الاستعمار، أصبحت تعتمد لغاية استراتيجية، من

ذلك تأسيس مستوطنات جديدة في مناطق حساسة خصوصاً على الحدود. وتزعم اسرائيل أن هذا التوجه الجديد في سياسة الاستيطان يهدف الى الدفاع عن نفسها. والواضح أنها، بتعزيز التواجد اليهودي في هذه المناطق، تعمل على تهيئة الهجومات وتسهيلها. وتواصل اسرائيل، اليوم، سياسة الاستيطان.

وبحكم طبيعتها ولما تجده من تدعيم أميركا، القوة الرأسمالية الامبريالية العظمى، لن تتوقف اسرائيل عن الفتك بالوطن العربي. ولذلك لا ينبغي على العرب متابعة التغافل عن أهداف اسرائيل وعدم الاكتراث بمخططاتها. يجب مواجهتها المواجهة الفعلية، لا من أجل الدفاع عما مضى وعما اغتصبته اسرائيل من حقوق لمحاولة استرجاعها، فقط، وانما من أجل الدفاع والمواجهة المستقبلية، لأن اسرائيل لم تتوقف عما ألحقته بالعرب وعما غنمت من وطنهم، بل لا تزال تطالعنا بمخططاتها الجنونية. ولقد كشف السيد رجاء غارودي، في كتابه «القضية اسرائيل»، عن مخطط صهيوني يتضمن طرد العرب من فلسطين والعمل على تجزئة الدول العربية الأخرى، كما أن هذا المخطط يتضمن اثارة حرب عالمية ثالثة قد تسبب انفجارا للكرة الأرضية بواسطة السلاح النووي»[٥٥].

الببليوغرافيا

١ـ كتب تتعلق بالفكر الصهيوني وتاريخه:

ـ أبو غزالة (بسام) **الجذور التاريخية لحزب حيروت الاسرائيلي**. م.ت.ف. مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٠، ١٠٦ ص.

ـ التونسي (محمد خليفة)، **الخطر الصهيوني، بروتوكولات حكماء صهيون**، مصر ١٩٨٤.

ـ تايلر (ألن)، **تاريخ الحركة الصهيونية، تحليل الدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧/ ١٩٤٧**. ترجمة بسام أبو غزالة، الطبعة الأولى، دار الطليعة بيروت، ص ١٨١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦.

ـ محمود (عادل) **الفكر الاسرائيلي وحدود الدولة**.

ـ نويهض (عجاج) **بروتوكولات حكماء صهيون**. الطبعة الثانية، المجلد الأول، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت ٣٣١ ص.

ـ **الصهيونية الدولية**، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ترجمة محمد الجندي، دار ابن رشد، بيروت لبنان ١٩٧٩. ٢٢٢ ص.

٢ـ كتب تتعلق بالوضع بتونس:

ـ التيمومي (الهادي) **النشاط الصهيوني بتونس بين ١٨٩٧ و ١٩٤٨**. التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، صفاقس ١٩٨٢.

ـ قفصة (عمر بن حمدة)، **اضواء على الصحافة التونسية، ١٨٦٠ ـ ١٩٧٠** دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس ١٩٧٢، ٢٩٧ ص

- تحرير الشعوب المستعمرة، كتاب تاريخ مدرسي، تونس.
٣- مجلات:
- التومي (خالد)، **الاشتراكية الصهيونية بين الحقيقة والخيال والتزييف**: دراسة نقدية لتجربة الكيبوتس الاسرائيلي، مجلة العلوم الاجتماعية، تصدر عن جامعة الكويت العدد ٢ السنة ١١، حزيران (يونيو) ١٩٨٣.
- عبد الرحمن (أسعد) **المنظمة الصهيونية العالمية واسرائيل**، مجلة شؤون عربية، أيار (مايو) ١٩٨١ عدد ٣.
- شوفاني (الياس) **المشروع الصهيوني وتهويد فلسطين**، مجلة صامد الاقتصادي السنة ١٥ العدد ٣٩، نيسان (ابريل) ١٩٨٢.
- قدري (محمود)، **الاستعمار الاستيطاني الصهيوني**، مجلة صامد الاقتصادي السنة ١٥ العدد ٣٩، نيسان (ابريل) ١٩٨٢.
- ورلفنسون (ماريون) **اليهود في الوطن العربي**، مجلة المستقبل العربي ٦٥، ١٩٨١/٣ يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية.

Sources consultées:

- BARDIN, Laurence, *L'analyse de contenu,* Ed. PUF, col. Le psychologue, Paris 1977, Edition 1980, 223p.
- BARON, Xavier, *Les Palestiniens un peuple,* Ed. Le Sycomore Paris 1977, 424p.
- BEN GOURION, David, *Israël, années de lutte,* Ed. Flammarion, Paris.
- CATTAN, Henri et ATIFAH, Edouard, *Palestine, Terre de Promesses et de sang,* col. Monographies.
- GARAUDY, Roger, *L'Affaire Israël,* le sionisme politique, Ed. Papyrus, Paris 1981.
- HAGANI, Baruch, *Le Sionisme politique et son fondateur* Théodore Herzel, Ed. Payot et Cie, Paris 1917.
- LAQUEUR, Walter *Histoire du sionisme,* Ed. C. Lévy, Paris 1973.
- Shlomo Avinéri, *Histoire de la pensée sioniste,* Les origines intellectuelles de l'Etat, col. Judaïques, J.C.Lattès, Paris.
- SOURIAU-HOEBRECHTS, Christiane, *La presse maghrebine,* Libye, Tunisie, Algerie, Maroc, Ed. Centre de Recherche sur l'Afrique Méditerranéenne, Paris, 1975, 369p., 24cm.
- TRIKI, Hussein, *Voici la Palestine,* Ed. S.T.D., Tunis, Juin 1972, 229p.

مقالات من الصحف الثلاث، الحلون، الفجر، اليقظة اليهودية	
الصحيفة	الحلّون (الرائد)
الخط السياسي	الرائد اليهودي: من أجل فلسطين عمّالية ناطقة بلسان تجمع الهاشومير هاتسعير من اليسار الصهيوني
المدير	
عنوانها	٣ـ طريق دوران كلاب تونس مطبعة: فنزي
تاريخ الصدور	نصف شهرية* صدر أول عدد لها في ١٥ شباط (فبراير) ١٩٣٣ وآخر عدد في ١٢ أيار (مايو) ١٩٣٣.
الحجم	٤٦ * ٢٩ سم ثم أصبح ٥٦ × ٣٨ سم ابتداء من آذار (مارس) ١٩٣٣.
الصفحات	ثلاث صفحات ثم أربع ابتداء من ٢١ نيسان (ابريل) ١٩٣٣ ثم صفحتين في العدد الأخير
الثمن والاشتراك	٣٠ سنتيما للعدد الواحد ٧ فرنكات للاشتراك
الأعمدة	٤ أعمدة من الحجم الصغير، و ٥ أعمدة من الحجم الكبير. عرض العمود = ١٤ سنتمتر في الحالتين.
الصحيفة	الفجر
الخط السياسي	صحيفة للأخبار اليهودية والعمل الصهيوني ناطقة بلسان اليسار الصهيوني العام بتونس
المدير	روني كوهين حضرية ورئيس التحرير هانري معارل
عنوان الادارة والطبع ومكان الصدور	١٠ نهج القسطنطينية، تونس تصدر بتونس
تاريخ الصدور	صحيفة اسبوعية صدر أول عدد لها في ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣ وآخر عدد في: ٦ تموز (يوليو) ١٩٣٤

مقالات من الصحف الثلاث، الحلون، الفجر، اليقظة اليهودية	
الحجم	٥٢ × ٣٨ سم
الصفحات	٤ صفحات
الثمن والاشتراك	٣٠ سنتيما للعدد الواحد و ٢٠ فرنكا للاشتراك
الأعمدة	عرض العمود: ١٢,٥ سم، وعددها ٦ أعمدة
الصحيفة	اليقظة اليهودية
الخط السياسي	جهاز الدفاع والاعلام اليهودي ناطقة بلسان التصحيحيين، اليمين الصهيوني
المدير	فليكس علّوش
مكان الصدور	مطبعة الجنوب ١٨ نهج فيسور صفاقس، ثم اصبحت تصدر بتونس العاصمة منذ ١١ نيسان (ابريل) ١٩٣٠ في ٢ بطحاء جول فيري تونس ثم تونس ثم ٧ نهج ايطاليا تونس.
تاريخ الصدور	اسبوعية صدر العدد الأول لها يوم ١٢ ايلول سبتمبر ١٩٢٤ وآخر عدد في ادارة صفاقس ٢٢ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٦ وآخر عدد بتونس في ٢٩ (مارس) ١٩٣٥.
الحجم	٤٤ × ٢٨ سم ثم ٥٥ × ٣٥ سم
الصفحات	أربع صفحات وأحيانا ستة
الثمن	٣٠ سنتيما للعدد الواحد و ٢٠ فرنكا للاشتراك
الأعمدة	٤ أعمدة بعرض ١٥ سيسرو ثم ابتداء من ٢٢ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٢٦، ٥ اعمدة بنفس العرض

المقالات المعتمدة من صحيفة الحلوز			
التاريخ	عنوان المقال	نوعه	الكاتب
١٩٣٣/٢/١٥	صهاينة وتصحيحيون Sionistes et Révisionnistes	مقال اعلامي	س. بيسموث
١٩٣٣/٣/١	حسن التدبير Du bon sens.	افتتاحية	هنري
١٩٣٣/٣/١٥	تطهير الحارة L'assainissement de la Hara.	افتتاحية	هنري
١٩٣٣/٣/٢٠	طريقة لمواجهة اللاسامية Un moyen de lutte contre L'antisémitisme	افتتاحية	هنري
١٩٣٣/٤/٧	القضية العربية والصهيونية La question arabe et le sionisme.	افتتاحية	بن ياكوف
١٩٣٣/٤/٢١	الشيكل Le Chekel	مقال اعلامي	اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية
١٩٣٣/٤/٢٨	لم أعد أرغب في Je ne veux plus polémiquer.		س. بسموث
١٩٣٣/٤/٥	يجب التفاهم Il faut s'entendre.		هنري
	ركائز السياسة الصهيونية Les fondements de la politique sioniste.		بن ياكوف

المقالات المعتمدة من صحيفة الحلوز			
التاريخ	عنوان المقال	نوعه	الكاتب
١٢/٤/١٩٣٣	تطور الانتاج في فلسطين مرتبط بتطور العمال **Le développement de la production en Palestine est de lié au développement des travailleurs.**	مقال اعلامي	بن ياكوف

المقالات المعتمدة من صحيفة الفجر			
التاريخ	عنوان المقال	نوعه	الكاتب
١٩٣٣/٩/٨	مرحبا بالسيد بيروتون Bienvenue á Monsieur Peyrouton.	افتتاحية	رني كوهين حضرية
١٩٣٣/٩/١٥	روش حشانة راس السنة اليهودية Rosh Hashana Jour de l'an Juif	=	هنري محرك
١٩٣٣/٩/٢٨	عزل التجارة L'isolement du commerce.	=	رني كوهين حضرية
١٩٣٣/١٠/١٠	مدفن عظماء الأمة Un Panthéon في تل ابيب .Juif à Tel-Aviv	=	هنري محرك
١٩٣٣/١٠/٢٠	بني اسرائيل تحذروا.Israël garde toi	=	رني كوهين حضرية
١٩٣٣/١٠/٢٧	ضريبة حق الانتخاب Le cens électoral	=	
١٩٣٣/١١/١٨	تصريح انتهازي Une déclaration للمجلس القومي اليهودي opportuniste du Conseil national Juif.	= =	المجلس القومي
١٩٣٣/١١/٣	الطريق المطوقة بالأشواك Le chemin bordé d'epines.	=	رني كوهين
١٩٣٣/١١/١٧	الدعاية الهتلرية في تونس La propagande hitlérienne a Tunis	=	رني كوهين حضرية
١٩٣٣/١١/٢٤	الطعنة من خلف Coup de poignard dans le dos	=	رني كوهين حضرية
١٩٣٣/١٢/١	رد حسن .Une belle riposte	=	=
١٩٣٣/١٢/٨	هل يجب ادخال موظفين في المجلس Faut-il des fonctionnaires au conseil?	= =	هنري محرك هنري محرك

المقالات المعتمدة من صحيفة الفجر			
التاريخ	عنوان المقال	نوعه	الكاتب
١٩٣٣/١٢/١٥	ما لم يقوموا به Ce qu'ils n'ont pas fait.	=	رني كوهين حضرية
١٩٣٣/١٢/٢٢	البنك الشعبي اليهودي La banque populaire juive.	=	=
١٩٣٣/١٢/٢٩	كراس للطلبات اليهودية Un cahier de révendications juives.	=	هنري محرك

صحيفة اليقظة اليهودية			
التاريخ	عنوان المقال	نوعه	الكاتب
١٩٣٣/١/٦	المشكلة المحيرة l'inquiétant	افتتاحية	فيليكس علوش
١٩٣٣/١/١٣	التهديد يتجدد La menace se précise	=	=
١٩٣٣/٢/١٠	هل سنتصاع؟ Laisserons-nous faire?	=	=
١٩٣٣/٢/١٧	في تونس وخارجها A Tunis et ailleurs	=	=
١٩٣٣/٢/٢٤	حالة انكري. Le cas (Ancris).	=	=
١٩٣٣/٣/٣	من تونس الى الجزائر D'Alger á Tunis	=	=
١٩٣٣/٣/٩	مسالة الحارة La question de la Hara	=	=
١٩٣٣/٣/١٣	اجراءات عفو ولكن Des actes de grâce	=	=
١٩٣٣/٣/١٧	فلنحضر المستقبل ايضاً. mais préparons aussi l'avenir.		
١٩٣٣/٣/٢٣	من المانيا الى فرنسا D'Allemagne en France	=	=
١٩٣٣/٣/٢٩	حتى ننتهي. Pour en finir.	=	=
١٩٣٣/٤/٣	خواطر حول ملتقى Reflexions sur un meeting.	=	=
١٩٣٣/٤/٢١	باراس ومهمته. Pares et sa mission.	=	=
١٩٣٣/٤/٢٨	التجاريون في ضيق La détresse des commerciaux.	=	=
١٩٣٣/٥/١٩	قضية الساعة. Le souci de l'heure.	=	=
١٩٣٣/٥/٢٠	في تونس وخارجها A Tunis et ailleurs.	=	=
١٩٣٣/٦/٢	من المقاطعة الى المثال Du boycottage a l'alliance.	=	=

صحيفة اليقظة اليهودية

التاريخ	عنوان المقال	نوعه	الكاتب
١٩٣٣/٦/٩	من عصبة الأمم إلى التحالف	=	=
	De la S.D.N. a l'alliance.		
١٩٣٣/٦/١٦	عندنا وعند عمان Chez nous et chez	=	=
	aman.	=	=
١٩٣٣/٦/٢٣	في اليمين وفي اليسار A droite et à	=	=
	gauche.	=	=
١٩٣٣/٦/٣٠	لينين وهتلر. Lénine et Hitler.	=	=
١٩٣٣/٧/٧	هرتزل كان على حق Herzl avait	=	=
	raison		
١٩٣٣/٧/١٤	عمل الكراهية. L'oeuvre de haine.	=	=
١٩٣٣/٤/١٤	من اجلهم ومن اجلنا جميعاً.	=	=
	Pour eux et pour nous tous	=	=
١٩٣٣/٧/٢٨	اشياء من تونس Choses de Tunisie	=	=
١٩٣٣/٩/٢٧	أين دفار Ein-Davar	=	=
١٩٣٣/١٠/٩	مشاكل محلية Problémes locaux	=	=
١٩٣٣/١٠/٢٠	على هامش رحيل En marge d'un		
	depart.	=	=
١٩٣٣/١٠/٢٧	تصريح اللجنة التنفيذية Une proc-		
	التصحيحية lamation de l'Exécutif	=	=
١٩٣٣/١١/١٧	نحن وانتم. Nous et vous.	=	=
١٩٣٣/١١/٢٦	هجوم على الظلم Sus à l'injustice	=	=
١٩٣٣/١٢/١	درس التجربة La leçon de		
	l'experience		
١٩٣٣/١٢/١٥	رجال احرار Hommes libres.		

الحواشي

(١) Le Halloutz, L'Aurore, Le Réveil Juif

(٢) حضرية، روني كوهين «مرحبا بالسيد بيروتون» (Bienvenue à M. Peyrouton) **الفجر**، افتتاحية ص. ١. ٨/٩/١٩٣٣.

(٣) من اسم الجريدة «**الفجر**».

(٤) حضرية، روني كوهين، مرحبا بالسيد بيروتون. (Bienvenue à M. Peyrouton) افتتاحية صحيفة **الفجر** ٨/٩/١٩٣٣.

(٥) انظر **الصحافة التونسية في الثلاثينات**: ص ٣٢.

(٦) من كتاب التاريخ المدرسي «**تحرير الشعوب**» ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٧) احصائيات حسب ما ورد في كتاب قزافيي بارون **الفلسطينيون شعب** ص ٤٤.

(٨) حضرية روني كوهين، **التجارة التونسية Le commerce tunisien** افتتاحية صحيفة **الفجر** ليوم ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣.

(٩) التيمومي (الهادي)، **النشاط الصهيوني بتونس** ص ١٢١.

(١٠) كلمة عبرية معناها الحارس الفتي.

(١١) التيمومي (الهادي) **النشاط الصهيوني بتونس** ص ١٦٦.

(١٢) لم نجد الوثائق الكافية للتعريف بهذا التيار.

(١٣) أول رئيس للمنظمة الصهيونية.

(١٤) **التجمع**: بعث الروح اليهودية، من مبادىء الصهيونية.

(١٥) تنقيح وعد بلفور.

(١٦) ابو غزالة، بسام، **الجذور التاريخية لحزب حيروت الاسرائيلي**، ص ١٤.

(١٧) **«La Palestine est DESTINEE à être un Etat Juif».** en Parole du chef, Le Réveil Juif, 24/11/1933.

(١٨) **الشيقل**: كلمة عبرية معناها بطاقة انخراط أو اشتراك.

(١٩) هنري: طريقة لمواجهة اللاسامية **Un moyen de lutte contre l'antisémitisme.** افتتاحية صحيفة الحلوز. ٢٩ مارس ١٩٣٣.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) **A la lutte des classes opposons l'intérêt du peuple,** Le Réveil Juif, 27/9/1933.

(٢٢) تصريح اللجنة التنفيذية التصحيحية Proclamation de L'Exécutif Révisioniste. **اليقظة اليهودية** ١٩٣٣/١٠/٢٧.

(٢٣) بن. ياكوف، ركائز السياسة الصهيونية **Les fondements de la politique sioniste.** **صحيفة الحلوز** ١٩٣٣/٤/٥.

(٢٤) Le (Dunom) équivaut à 1000 m2.

(٢٥) HAGANI, Baruch, **Le Sionisme politique et son fondateur Théodor Herzl,** Ed. Payot et Cie, Paris 1917.

(٢٦) Idem.

(٢٧) نويهض (عجاج) **بروتوكولات حكماء صهيون** ص ٩٢.

(٢٨) المصدر نفسه.

لقد عمدنا الى تعداد الأصناف التي يتضمنها هذا الجدول لنتبين أن غاية الصهيونية ليست استرجاع حق تاريخي كما تزعم، وانما غايتها الاستعمار والتوسع.

(٢٩) **اليقظة اليهودية**، ١٢ أيار (مايو) ١٩٣٣.

(٣٠) Alfred Guillaume, Professeur de l'etude de l'Ancien Testament à l'Université de Londres, ancien Professeur des Langues Orientales et auteur de nombreux ouvrages sur l'Ancien Testament et les institutions musulmanes.

(٣١) Triki, Hussein, **Voici la Palestine,** Ed. STD, p. 41, Tunis 1972.

(٣٢) **The Rebirth of an Ancient People,** London 1916.

(٣٣) Triki, H., **op. cit. p. 67.**

(٣٤) **وايزمن** أول رئيس للكيان الصهيوني.

(٣٥) Triki, H., **op. cit.** p. 41.

(٣٦) **Ibid.** p. 42.

(٣٧) كانت هذه الكلمة les philistins ثم أصبحت les Palestiniens.

GARAUDY, Roger, **L'Affaire Israel,** p.p. 39-41. (٣٨)

Ibid. P; 47. (٣٩)

(٤٠) هنري، يجب التفاهم **Il faut s'entendre** مقال اعلامي بصحيفة **الحلوز** ٥/٤/١٩٣٣.

(٤١) محرك (هنري) روش حشانة رأس السنة اليهودية **Roch Hachana, Jour de l'an Juif.** افتتاحية صحيفة **الحلوز** ٢٠/٩/١٩٣٣.

(٤٢) هنري، طريقة لمواجهة اللاسامية. **Un moyen de lutte contre l'antisémitisme** افتتاحية صحيفة **الحلوز** ٢٩/٣/١٩٣٣.

(٤٣) المقصود هنا «بني اسرائيل».

(٤٤) **الصباح**، تونس، ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧.

(٤٥) نويهض عجاج، **بروتوكولات حكماء صهيون** ص ١٦.

(٤٦) **الصباح** ٢ سبتمبر ١٩٧٧ ص ٦.

(٤٧) علوش (فيليكس) قضية الساعة **Le souci de l'heure** افتتاحية صحيفة **اليقظة اليهودية** ١٩/٥/١٩٣٣.

(٤٨) هنري، يجب التفاهم **Il faut s'entendre** مقال اعلامي بصحيفة **الحلوز** ليوم ٥ نيسان / ابريل ١٩٣٣.

(٤٩) علوش (فيليكس) رجال أحرار **Hommes libres** افتتاحية صحيفة **اليقظة اليهودية** ١٥/١٢/١٩٣٣.

(٥٠) بارون (قزافيي) **الفلسطينيون شعب** ص ٥٥.

(٥١) علوش (فيليكس)، درس التجربة **La leçon de l'expérience** افتتاحية صحيفة **اليقظة اليهودية** ليوم ١/١٢/١٩٣٣.

(٥٢) استعمال كلمة قومية كما وردت حسب تعبير الصهاينة.

(٥٣) علوش (فيليكس) درس التجربة **(La leçon de l'expérience)** افتتاحية صحيفة **اليقظة اليهودية** ١/١٢/١٩٣٣.

(٥٤) بن ياكوف، ركائز السياسة الصهيونية **Les fondements de la politique** مقال اعلامي بصحيفة **الحلوز** ليوم ٥/٤/١٩٣٣.

GARAUDY, Roger, **L'Affaire Israel,** p. 166. (٥٥)

المحتويات

المقدمة ٥

الفصل الأول: الوضع التاريخي العام ١٣

● الوضع التاريخي العام في تونس خلال الثلاثينات ١٥

● الوضع الاجتماعي والاقتصادي لليهود بتونس مطلع الثلاثينات ... ١٧

الفصل الثاني: وضع الصحافة والتيارات الصهيونية ٢٣

● تعريف التيارات السياسية الصهيونية الثلاثة ٣٣

الفصل الثالث: طبيعة الدولة وحدودها ٣٩

● المستوى الايديولوجي عند الصحف الثلاث ٤٥

● المستوى السياسي ٥٣

● المستوى الاقتصادي والاجتماعي ٦١

● طبيعة الدولة عند القادة الصهاينة ٦٥

● تطبيق هذه المفاهيم ٧١

الفصل الرابع: حدود الدولة وسكانها ٧٥

● حدود الدولة ٧٩

● التحالف الاستراتيجي في الدعاية الصهيونية ٨٣

● حقيقة فلسطين في الدين والتاريخ ٨٧

● استنتاجات ٩٣

الفصل الخامس: وسائل انجاز الدولة اليهودية ٩٥
● وسائل الإنجاز الداخلية ٩٧
● المستوى السياسي ٩٩
● المستوى الاقتصادي ١٠٧
الفصل السادس: تطبيق هذه الوسائل ١١١
الفصل السابع: وسائل الإنجاز الخارجية ١٢١
الخاتمة: ١٣١
البيبلوغرافيا: ١٣٧
الحواشي: ١٤٧

Kalthoum El ssafi

The View of Tunisian Zionist Newspapers
on the Jewish State in the 1930s

Study in Halloutz - L'Aurore - Le Reveil

2